وبهجتها، وإصلاح قوس باب جامع الأندلس ذلك الأثر الخالد، وإصلاح مدرسة العطارين.

قدس الله روحه الطاهرة وجعله في مقعد صدق عند مليك مقتدر آمين، وجعل البركة في خلفه إلى يوم الدين.

سلطاننا المحبوب
ابو عبد الله محمد بن يوسف
ابن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام
أيد الله نصره، وجمل بمحاسنه عصره

ولد بالقصر السلطاني بفاس عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف وأُدخل للمكتب المعد لتعليم أبناء الملوك والأمراء القراءة والكتابة والقرآن الكريم حفظا ورسما بين جدرات القصر الإمامي.

ولما استوى والده الإمام قدس الله روحه على عرش آبائه الملوك الأكرمين واتخذ رباط الفتح عاصمة الإمارة والإدارة نقل سيدنا المترجم إليها مع جل إخوته وعين لهم مكتبا خاصا بهم داخل قصره السعيد وأساتيذ ملازمين لهم إلى أن حفظوا القرآن الكريم وآنس منهم التأهل لأخذ العلوم الدينية، ودرس اللغتين العربية والفرنسية، فعين له أساتيذ للقيام بهذا الواجب وما عرف عن مولانا الإمام قط أنه انتظم في سلك المتعلمين بمدرسة عمومية ولا أحد من إخوته وأعمامه ولا ينبئك مثل خبير.

ولما بلغ السابعة عشرة من عمره زوجه والده المقدس بكريمة من صنوة المولى الطاهر وأولم لعرسه بعاصمة الجنوب مراكش وليمة تجلت فيها مظاهر الملك وأبهة السلطنة حضرها سائر أعيان المملكة المغربية ورجال دولتها الأنجاد، من سائر الأغوار والأنجاد، وعموم البلاد.

وبويع له بالقصر السلطاني من فاس بمشور الدكاكين إثر صلاة الجمعة ثالث وعشري ٢٣ جمادى الأولى عام ستة وأربعين وثلاثمائة وألف موافق ١٨ ثامن عشر

نفامبر سنة سبع وعشرين وتسعمائة وألف.

ولما استوى على عرش أسلافه الطاهرين أصدر مكاتبيه الشريفة لسائر ولاته حاضرة وبادية بالإعلام بما أتاح الله له من النصر العزيز واتفاق ذوي الحل والعقد على بيعته وأمرهم بجمع كلمة من إلى نظرهم من الأيالة الشريفة على بيعته والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين على عادة من تبوأ عرش الخلافة من أسلافه. ولنورد هنا ما كتب به لعمه خليفته بفاس محل أخينا الفقيه الأجل مولاي المأمون رعاه الله، ولفظه بعد الحمدلة والصلاة ثم الطابع الشريف نقش داخله: (محمد بن يوسف بن الحسن الله وليه) وبزواياه: (وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، الله. محمد. أبو بكر. عُمر. عثمان. علي) وبدائرته: ومن تكن برسول الله نصرته البيتين:

«عمنا الخليفة الأرضى مولاي المأمون سددكْ الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فغير خفي أن كل موجود يعتريه الفوت، وكل نفس ذائقة الموت، وأن الله تعالى لم يجعل الدنيا دار بقاء لأوليائه، ولا مقر جزاء لأصفيائه، ومن أجل ذلك استأثر سبحانه بروح سيدنا الوالد المعظم، أمير المؤمنين الأفخم، وناداه منادي الكرامة إلى دار السلامة، فلبى الداعي، وانتقل إلى رحمته محمود المساعي، مأسوفا عليه من كل الناس، على اختلاف الطبقات والأجناس وذلك عقب مرضه الذي لازمه زمنا طويلا، وحل بساحته الطاهرة ضيفا ثقيلا، وكان معه مستسلما صابرا إلى أن وافاه الأجل المحتوم محتسبا شاكرا، وقد شيعت جنازته المباركة في محفل رهيب، وموكب مهيب، شارك فيه بغاية الأسف جناب ممثل الدولة الجمهورية الفخيمة المقيم العام، ومن معه من الجنرالات وكبار الموظفين والحكام، وسائر عساكر الحامية الفاسية، بصفة استعراض عليه مراسم التأثر بادية، وأُقبر رحمه الله بروضة أسلافنا المقدسين، في جوار جدنال الأكبر مولانا عبد الله قدوة الملوك المهتدين، صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى عامه أسكنه الله فسيح الجنان، وعامله بالرضى

والرضوان، ثم بعد صلاة الجمعة من اليوم المذكور اجتمع أهل الحل والعقد من الوزراء، والشرفاء والأعيان والعلماء، من أهل فاس وأحوازها ومن انضم إليهم من وفود المدن والثغور بقصد النظر في مبايعة من يقوم بأعباء الخلافة الإسلامية، ويلحظ بعين المصلحة شئون الأمة المغربية، فانعقد الإجماع على مبايعة جنابنا الشريف، وتم الأمر بكتب البيعة السعيدة وإمضائها عن طوع لا انتقاد معه ولا تكليف، فأصبحنا بمنة الله مطوقين بحمل أعباء السلطنة السنية، عازمين على اتباع سلفنا الصالح بإخلاص وصدق نية، مستمدين من الله الإعانة والتأييد، والتوفيق والتسديد، والله يؤتي ملكه من يشاء من عباده، ويتولى بفضله أمور من اعتمد عليه وفق مراده، هذا وقد انتقلنا صبيحة يوم الإثنين الرابع والعشرين من الشهر المذكور إلى عاصمتنا الرباطية في موكب ملوكي تتقدمه السعادة وتحيط به الألطاف الخفية، فحللنا به حلول يمن وأمان، وعز مكين ثابت الأركان، في مظاهرات أفراح بهية، ومواسم احتفالات باهرة علية، وأعلمناكم لتشاطروا الأمة الإسلامية في مصابها الأليم، وتشاركوها كذلك من أجل ولايتنا الشرعية في فرحها العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والسلام، وحرر بعاصمة الرباط في ٢٧ جمادى الأولى عام ١٣٢٧[1]» صح منه.

وقد حضرت في حفلة رسمية أقيمت لجلالته بباريس في زيارته لها أيام معرضها الاستعماري الذي كان رئيسه ومرتب شئونه هو المرشال ليوطي وذلك أوائل غشت سنة ١٩٣١ وكان الاحتفال بجنابه العالي بقصر بلدية باريس حضره وجوه الدولة وعظماؤها وألقيت فيه عدة خطب ترحيب ثم قامت جلالته فألقى حفظه الله خطبة في ذلك المهرجان العظيم بحماسة هاشمية وفصاحة قرشية أدهشت الحاضرين من غير تلعثم ولا تلكع ونص الخطاب:

---

(١) كذا بالأصل وصوابه ١٣٤٦.

«الحمد لله:

سعادة الرئيس، يصعب على من يعرف باريس ألا يرجع إليها، ولا يغلب الحنين إلى الوطن الشوق إلى عاصمتكم الزهراء التي تخلب بمحاسنها العديدة العديمة النظير، ولو لم يكن منها إلا حسن ذلك الترحاب الفرنسي الذي تقابلون به أضيافكم لكفى في حث الناس على الإياب إليها، على أنه يوجد بباريس غير ذلك من المحاسن إذ يحظى زائره بكل مايتمنى من معاهده العديدة ومتاحفه الفريدة وخزانات الكتب ومدارسه الشهيرة وشوارعه الفسيحة ومنتزهاته المختلفة وبالخصوص تلك الروح الفاضلة المتركبة من اللطف والطموح إلى الجديد التي كست سكان باريس ببرد ذلك الصفاء والانشراح الذي يُشعر الغريب أنه في وطنه الحقيقي.

لما جاء والدنا المقدس مجيئه الرسمي الأول يحمل إليكم تحية مسلمي المغرب كنا بمعيته الشريفة وأعجبنا إذ ذاك بمحاسن باريس التي لا يوجد لها نظير وجئنا اليوم منشرحي الصدر نقدم لكم عبارات صداقتنا الثابتة وشكراننا الوافر المخلد، على أننا لا ننسى حسن ضيافة باريس للإسلام حين ساعد تلك المساعدة الثمينة على تشييد المسجد والمعهد الإسلامي ونعلم أن اعتناءكم بمن تشملهم فرنسا بجميل رعايتها لم تقف عند هذا الحد فإن من أسموه من المستشفى الإسلامي يناسب محاسن عاصمتكم الزاهرة، ومبادئ فرنسا الباهرة؛ تلك المبادئ التي سلكها أجمل سلوك ممثلو دولتكم بالمغرب سواء مسيو لوسيان سان الي ملك قلوب إخواننا التونسيين وسائر رعايانا بحسن خبرته الإدارية، وجميل عواطفه القلبية، ومسيو ستيك الذي خلف عندنا تذكارًا خالدًا من جميل لطفه وكمال عقله، والمشير ليوطي الذي أسس رقي المغرب على قواعد ثابتة، وبرهن بأعماله العجيبة في المعرض الاستعماري على عبقريته وكمال نشاطه.

يفد عليكم كثير من المسلمين الذين لا يأتون لمجرد السعي وراء أسباب المعيشة بل

للحصول على مبادئ التقدم العصري ووسائل الحياة التي حصلتم عليها منذ أحقاب مشمولين برعايتكم وجميل سهركم على مصالحهم، كما يأتي إلى المغرب جم غفير من الفرنسويين بما لهم من الأموال الطائلة ومزايا الخبرة والتجريب، وبمجرد ما نشرته فرنسا حمايتها على المغرب تشاركنا جميعا في العمل وحصلنا على حسن نتائج ذلك وسعينا في جميل المصادقة التي أثمرت ثمارها اليانعة، ولا نزال نبذل لكم ثقتنا الوافية الكاملة ومخلص مشاركتنا كما توفرون لنا إعانتكم الثمينة المنتجة التي تؤهلنا لمزاحمة الأمم العصرية وبذلك فرنسا الفخيمة في متواصل صعودها إلى أعلى مدارج الرقي جوهرةً أخرى لتاج حضارتها فلا يزال يلوح بدر كمالها في الدهور، وتشرق شمس مجدها بين الأمم في متعاقب العصور».

الامير الكبير مولاي عبد الله الحسن ولي العهد (عن اليسار)
وشقيقه السري عبد الله ، أعز الله مرسعيدا وأقر عينا بهما في صحة وافية النعم العظيم

ولما أتم مولانا خطابه بلسانه العربي المبين ترجمه رئيس ديوانه الملكي للفرنسية لإفادة الحضور.

وأولاده الأمراء والأميرات أكبرهم ولي عهده وسمي جده، أبوه علي المولى الحسن وكانت ولادته أثمر الله غرسه زاد في حسه ومعناه بالقصر السلطاني من رباط الفتح بين الظهرين من يوم الثلاثاء فاتح صفر الخير عام ثمانية وأربعين وثلاثمائة وألف موافق تاسع يوليه سنة تسع وعشرين وتعسمائة وألف. وكان الاحتفال بوليمة عقيقة سموه بقبة النصر ومشورها احتفالا تجلت فيه أبهة الملك وعظمة السلطان في أكبر وأفخم مجاليها حضره الأمراء والوزراء والرؤساء والقضاة والباشوات وأعيان الكتاب والضباط والحرس المولوي والموسيقى، وكان الذي تولى ذبح أول كشب عُقّ به عن سموه وزير العدلية الشريفة صديقنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الرندة وباقي الكباش تولى ذبحه حاجب الحضرة السلطانية محبنا السيد محمد الحسن بن إدريس ابن يعيش، والسلطان يومئذ بباريس.

وشقيقه المولى عبد الله ولد بالقصر العامر من الرباط غروب يوم الخميس ٢٧ صفر عام ١٣٥٤ وكان الذي تولى ذبح أول كبش عُقّ به عن سموه وزير العدلية وباقي الكباش ذبحها الحاجب السلطاني المذكور وكان الاحتفال بوليمة العقيقة بقبة النصر حضره الأعيان والوزراء وكبار الموظفين والعسكر والموسيقى.

وقد أحيا هذا السلطان ما سنه أسلافه الكرام الصناديد من الأخذ بأسباب الرياضة وركوب الصافنات الجياد وتمرين نفسه على الكر والفر كل صباح قبيل شروق الشمس غالبا.

أما آثاره الأثيرة، ومحاسنه الكثيرة، فشيء يفوق العد، ويأبى أن يشمله حد، ولنورد هنا ما تحقق لدي واستحضرته من ذلك، سالكا أوجز المسالك، فأقول سائلا من الله تبليغ مولانا كل مأمول.

آثاره بفاس

منها نظره «أدام الله نصره، وزين بآثاره الخالدة عصره» فيما يحفظ نظام الدين، ويحميه من فوضى المعتدين، وصرفه مع كمال الاعتبار وجهته المنيفة إلى معهد العلم الكلي الذي يكرع من حياض معارفه المتدفقة الحاضر والباد، بل الذي هو أول كلية عالمية أسست بالمغرب الأقصى لنفع العباد، ألا وهو مشرع العلم الروي، المعروف بالجامع القروي، فصرف عنايته الملكية، ومهمته العلوية العُلوية، إلى ما يضمن رخاء بال عماره العلماء ومعيشتهم حتى يتهيأ لهم صرف أوقاتهم ونفائس أعمارهم في بذل نفائس الإفادة، ودرر الإجادة، ويضمن للمشتغلين بداخله من الطُّلاب، نجاح الطِلاب، فيقبلون بشراشرهم على أخذ العلم ونفوسهم تواقة إليه، مقبلة بلهف شديد عليه، لا تبغي به بديلا، ولا ترى سواه لهمتهم عديلا، نفوس ينفذ العلم إليها تدريجيًا، ويكون لها في كل وقت نجيا، بحيث لا تمر عليها الإعصار، وقد ضعضعها من ضياع الوقت إعصار، ولا شك أن ذلك مما يعين على شرح الصدور، لتحصيل ما في الطروس والسطور، بل يرقي الأفهام، ويحفظها من تخبط الأوهام، ويحليها بالذوق الصحيح، والتفكير الصريح، المخفور بسلاح المنطق المسلم الراقي من فلسفة التشريع والحكمة في أرقى سلم، المبرهن على أن نبغاء الأمة، عالة على الإسلام في العلوم والحكم، والتاريخ في ذلك هو العدل الحكم، فكم درست بهذا المعهد القروي من علوم كونية لا تعرف الآن إلا أسماؤها، ولا تظل اليوم أرضه سماؤها، فلذلك تعلقت همة مولانا الإمام حامي بيضة الإسلام بترتيب أزمنة التعلم والتعليم ترتيبا دوريا حتى تفتح القلوب المقفلة، وتدرس العلوم المغفلة، وتنتبه النفوس المغفلة، فما كادت أن تتوجه همة مولانا الفعالة إلى هذا العمل، حتى تم الأمل، شأن ما كان لأسلافه الطاهرين، وآبائه المتقين الأكرمين، من بناء صروح المكارم، وتأسيس ما لها من الدعائم، وتجديد دارس المعالم، ولا سيما بفاس فنسلت الطلاب من الحواضر

والبوادي إليه من كل حدب، ولا سيما حيث تحققوا أن مولانا أيده الله عطف عليهم وحدب، وتمكن من نفوسهم ذلك التدريج التعليمي والزمني حتى وثقوا كل الوثوق بنجاح سعيهم، وحسن عاقبة وعيهم، وكان لصدور ظهيره الشريف بذلك رنة فرح بينهم، تهون عليهم هجرتهم في طلب العلم وبينَهم.

وذلك بتاريخ سادس وعشري ذي الحجة الحرام عامة ثمانية وأربعين وثلاثمائة وألف.

وعين لمراقبة التدريس بعض طلبة الكلية القروية من أهل فاس في مقابلة راتب شهري قدره عشرة مائة فرنك وخمسون فرنكا، وقسم المدرسين إلى ثلاث طبقات، وحصر عدد الأولى في ثمان ورتب لكل واحد منها خمس عشرة مائة فرنك مشاهرة، وحصر عدد الثانية في اثني عشر والراتب الشهري لكل منها اثنتا عشرة مائة فرنك وخمسون فرنكا، وحصر عدد الثالثة في اثني عشر براتب شهري قدره ألف فرنك لكل مدرس، وعين لكل طبقة ما تتعاطى تدريسه من الكتب العلمية على أن تبدأ الدروس من الساعة الثامنة إلى الحادية عشرة صباحا، ومن الثانية إلى الخامسة مساء وحدد لكل درس ساعة زمنية وأنيط بكل مدرس إلقاء ثلاثة دروس يوميا مع تخصيص كل فرد من أفراد الطبقات الثلاث بإقراء فن لا يتجاوزه إلى غيره وجعل ساعات التعليم بالنسبة للمتعلم ستا وبالنسبة للمعلم ثلاثًا يفصل بين الست ساعات بشطرها انتجاعًا للراحة، سعيًا وراء فائدة الاستراحة، إذ الطبع المكدود لا يصلحه إلا التنقل خارج الحدود في ظل القانون الممدود، من الأدب المحدود، وأناط ملاحظة مراقب الدروس برئيس المجلس العلمي بالحضرة الفاسية وعلق شئون المجلس العلمي بأنظار المجلس الأعلى بالرباط المتركب من وزرائه الكرام، وهنا يحلو إيراد بعض الظهائر المولوية المتعلقة بما أوردناه، المفصلة لما أجملناه، تتميما للفائدة دونكم نص أولها:

«الحمد لله، محب جنابنا الشريف رئيس المجلس العلمي بالقرويين الفقيه السيد أحمد بن الجيلالي سددك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد؛ فقد اقتضى نظرنا الشريف تحسين حالة التعليم بالقرويين بعد اتفاقنا مع المقيم العام واستشارتنا مع اللجنة المعينة لذلك من جانبنا العالي بالله تعالى بأن عينا مدرسين من جميع طبقات علمائها للقيام بالتدريس على كيفية ناجحة بحول الله وقوته وتصلك قائمة بأسماء المعينين لذلك لتخبرهم بما ذكر وقد أمرنا بتنفيذ شطر الرواتب من أول المحرم الآتي ولاءً الموافق ينيه العجمي سنة ١٩٣٠ إلى تمام سبعة أشهر ثم بعد ذلك يتمم لكل راتبه، أما كيفية التدريس والنظام في الأوقات فعند قفول جانبنا السعيد من وجهتنا المباركة يوافيكم ذلك؛ أما الآن فيبقى التدريس على حاله، وقد عينا لمراقبة التدريس الطالب العربي الحريشي ويعلم الله تعالى أن قصدنا هو نشر العلم وبثه وإعانة تلك الطائفة المؤمنة على حمل الشريعة، وفق الله الجميع والسلام في ٢٦ حجة الحرام متمم عام ١٣٤٨، قد سجل هذا الكتاب الشريف بقسم المعارف الإسلامية من وزراة العدلية الشريفة في ٢٩ حجة الحرام متمم عام ١٣٤٨ موافق ٢٨ مايه سنة ١٩٣٠: محمد الرندة كان الله له» صح منه.

ونص القائمة المحال عليها أعلاه بعد الحمدلة:

بيان أسماء العلماء الذين عينوا بالقرويين للتدريس:

الطبقة الأولى

الفقيه مولاي عبد الله الفضيلي[١]، الفقيه السيد الرضي السناني[٢]، مولاي علي

---

(١) صار رئيس المجلس العلمي الآن.

(٢) قصى من النظام وانتقل للدار البيضاء وهو الأن يدرس بها على نفقة أهاليها.

الدرقاوي، الفقيه السيد محمد بن أحمد ابن الحاج، الفقيه السيد عبد الحي الكتاني[١]، الفقيه السيد أحمد الشامي، الفقيه السيد الحسين بن الوليد العراقي، الفقيه السيد إدريس الوزاني.

الطبقة الثانية

الفقيه السيد إدريس المراكشي، الفقيه السيد محمد بن كبور ابن الحاج، الفقيه السيد أبو الشتاء الصنهاجي، الفقيه السيد محمد ابن إبراهيم الدكالي، الفقيه السيد محمد العلمي، الفقيه السيد العباس بناني، الفقيه السيد الطائع ابن الحاج، الفقيه السيد عبد العزيز ابن الخياط، الفقيه السيد أحمد الشرادي، الفقيه السيد الحسن مزور، الفقيه السيد العباس المسطاري، الفقيه السيد محمد بن محمد بن عبد القادر ابن سودة.

الطبقة الثالثة

الفقيه السيد محمد بن عبد الرحمن العراقي، الفقيه السيد أحمد بن محمد القادري، الفقيه السيد الحسن الزرهوني، الفقيه السيد محمد أشرقي، الفقيه السيد محمد بن سليمان العلوي، الفقيه السيد عمر ابن سودة، الفقيه السيد الحسن بن عمر العلوي، الفقيه السيد عبد العزيز العراقي، الفقيه السيد محمد بن إدريس الشامي، الفقيه السيد الحسن بن التاودي ابن سودة، الفقيه السيد الطالب ابن سودة، الفقيه السيد الحاج عبد القادر البردعي».

ونص الظهير الشريف في الأمر بامتثال الضابط المسنون للقرويين ليكون قانون أعمالها والإعلان بتأسيس المجلس الأعلى للقرويين بعد الحمدلة والطابع الكبير بداخله: (محمد بن يوسف الله وليه مولاه، فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين):

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأعز أمره، وأطلع في سماء المعارف شمسه

---

(١) انسلخ عن النظام.

المنيرة وبدره، أننا بحول الله القوي المعين، المالك لأزمة الأمور في كل وقت وحين، اقتضى نظرنا الشريف تأسيس مجلس أعلى بأعتابنا الشريفة، يتألف أعضاؤه من أعيان دولتنا المنيفة، تحت رياسة وزيرنا الصدر الأعظم للنظر في تنظيم التعليم وتحسين طرقه بكلية القرويين عمرها الله بدوام ذكره يطلق عليه اسم (المجلس الأعلى لنظام التعليم الإسلامي العام بالقرويين) وأسندنا له النظر في سن ضابط كفيل بتحسين حالة الكلية. المذكورة فيما يرجع لانتخاب العلماء المدرسين، وتعيين الفنون التي تدرس فيها، والتآليف التي يقرأ بها، والأوقات التي تلقى فيها الدروس، وما يتعلق بذلك صونًا لكيانها وحفظًا لبهجتها ونضارتها، وحرصًا على دوام عمارتها، وتعظيما لشأنها حتى تكون رياض العلوم بها ناضرة زاهرة، وبحارها متدفقة زاخرة، كما كانت عليه فيما مضى من العصور الغابرة، قيامًا بما يجب من تعليم العلوم الشرعية الفاخرة، فتأمر العلماء والمتعلمين أن يمتثلوا أمره ويعملوا بالضابط المسنون، ويسيروا على مقتضاه فيما يتعاطونه من العلوم والفنون، ولا يخرجوا عنه فيما قرره من المؤلفات والمتون، وما يلحق بذلك في جميع الشئون، وفقهم الله لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين، وأعانهم على نشر العلم وإحياء معالم الدين، وأرشدهم لسلوك الصراط المستقيم والمستبين، والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله في عاشر ذي القعدة الحرام عام ١٣٤٩، قد سجل هذا الظهير الشريف بقسم المعارف الإسلامية من وزارة العدلية الشريفة في ١٢ قعدة عام تاريخه موافق فاتح إبريل سنة ١٩٣١: محمد الرندة كان الله له».

ونص الضابط المسنون:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا أصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

الفصل الأول

أنه حيث كان من الواجب علينا السعي في المحافظة على التعليم الديني الذي بوجوده يمكن القيام بشعائر الدين الحنيف وتطبيق أصوله بأيالتنا الشريفة تنظم

جامعة القيروان حسبما يأتي:

الفصل الثاني

(في اقسام التعليم وفنونها)

ينقسم التعليم بالجامعة المذكورة إلى ثلاثة أقسام:

القسم الابتدائي، والقسم الثانوي، والقسم النهائي.

فالقسم الابتدائي يحتوي على الفنون الآتية:

الصرف

والنحو

والتوحيد والفقه إلى آخر العبادات

والأدب

والحساب

والقسم الثانوي يشتمل الفنون الآتية:

الفقه وأصوله

والصرف والنحو

والبلاغة والأدب

والحساب والهندسة والتوقيت

والمنطق والتوحيد

ومبادئ الحديث

أما القسم النهائي فله قسمان:

يشتمل القسم الأول على العلوم الآتية:

الفقه

وأصول الفقه

والحديث

والتفسير

ويشتمل القسم الثاني على العلوم الآتية:

الأدب

وتاريخ أدب اللغة العربية

والتاريخ والجغرافيا

الفصل الثالث

(في المدرسين)

قد صادق جنابنا الشريف على ما قرره المجلس الأعلى بأعتابنا الشريفة من اختيار اثنين وثلاثين مدرسا من علماء القرويين للقيام بالدروس المذكورة وترتيبهم على الكيفية الآتية:

١٢ مدرسا للتعليم الابتدائي

١٢ مدرسا للتعليم الثانوي

٨ مدرسين للتعليم النهائي.

الفصل الرابع

(في رواتبهم)

أما المرتبات التي يتقاضاها المدرسون المنظمون، وقع تعيينها كما يأتي:

التعليم النهائي

الرتبة الأولى	٢٤٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثانية	٢١٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثالثة	١٨٠٠٠ فرنكا في السنة

التعليم الثانوي

الرتبة الأولى	٢١٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثانية	١٥٠٠٠ فرنكا في السنة
الرتبة الثالثة	١٢٠٠٠ فرنكا في السنة

الفصل الخامس

(في المراقب)

أنشأ وظيف متفقد بالقرويين يلقب بمراقب الدروس، وله مرتب قدره عشرون ألف فرنك سنوية ويوجه بواسطة رئيس المجلس التحسيني للوزارة العدلية تقريرًا آخركل شهر يبين فيه حالة التدريس بالقرويين على وجه العموم كمواظبة المدرسين والطلبة ووقوف الجميع عند حد الضوابط العامة التي أُسس عليها النظام الجديد وينبغي أن يوجه الرئيس ذلك التقرير إلى وزارة العدلية في ظرف ثمانية أيام على الأكثر مع بيان رأيه إن اقتضاه الحال.

الفصل السادس

(في أوقات الدراسة والعطلة)

تلقى الدروس في كامل أيام الأسبوع ما عدا يومي الخميس والجمعة وذلك مدة ثلاث ساعات لكلل مدرس، وتعطى استراحة أسبوع بمناسبة الأعياد الإسلامية الثلاثة؛ وهي عيد النحر وعيد الفطر والمولد النبوي، كما تعطى استراحة خمسة عشر يومًا حين تقام نزهة سلطان الطلبة، وتعطل الدروس التنظيمية كامل شهر رمضان، ومدة أربعين يومًا في فصل السمائم أي من ٢٥ يوليه إلى ٣ شتنبر، ولا تعطل الدروس فيما عدا ذلك إلا بإذن خاص من وزيرنا الصدر الأعظم بطلب من المجلس التحسيني بالقرويين.

الفصل السابع

(الامتحانات)

في آخر كل سنة دراسية يقع امتحان لطلبة القرويين يرتقي الناجحون فيه إلى طبقات أعلى من التي كانوا فيها أمَّا تفاصيل الامتحانات فسيقع ضبطها بقرار من وزيرنا الأعظم في آخر السنة السادسة.

الفصل الثامن

(شهادة الامتحان الثانوية والنهائي والوظائف المخصصة لحامليها)

يقع امتحان لطلبة القسم الثانوي في آخر السنة السادسة حيث تنتهي مدة دراستهم وتعطى للناجحين فيه شهادة التعليم الثانوي بالقرويين ويمكن للمحصلين على تلك الشهادة أن يتولوا خطة العدالة والإمامة والخطابة والكتابة بمخزننا الشريف، كما يقع امتحان لطلبة القسم النهائي في آخر السنة الرابعة حيث تنتهي مدة دراستهم، ومن نجح منهم تعطى له شهاة التعليم النهائي بالقرويين، ويمكن لمن بيده الشهادة

المذكورة أن يتولى حطة القضاء أو التدريس بالقرويين.

الفصل التاسع

(ترشيح المدرسين)

إن المدرسين المنتظمين بالقرويين ينتخبون من المدرسين المتطوعين الذين قاموا بالتدريس مدة عامين على الأقل بالمعهد المذكور، وذلك بطريق المناظرة بحيث أنه كلما شغرت خطة مدرس إلا وبادر رئيس المجلس التحسيني بالقرويين بنشر إعلام قبل إجراء المناظرة في عشرة أيام ليمكن للمتطوعين أن يشاركوا في المناظرة.

تجرى الامتحانات أمام لجنة متركبة من العلماء المبينين فيما يأتي:

رئيس المجلس التحسيني أو نائبه

أعضاء المجلس المذكور

مراقب الدروس

وأحد العلماء من المجلس الأعلى بالأعتاب الشريفة

وخمسة علماء من القسم النهائي

أما تفاصيل الامتحانات المذكورة فسيقع تعيينها بقرار من وزيرنا الصدر الأعظم؛ وأمّا نتائج الامتحان فإنها تقرر بقرار من وزيرنا الصدر الأعظم بعد أن يحررها رئيس المجلس التحسيني.

الفصل العاشر

(في نواب المدرسين)

مهما يحصل للمدرّس مانع يصده عن القيام بدروسه؛ فإنه يعلم بذلك حالا رئيسُ المجلس التحسيني بالقرويين ليمكن للرئيس أن يعين بعد استشارة أعضاء مجلسه

متطوعًا يقوم بدروس من تغيب، ويستحق النائب ربع مرتب المنوب عنه إن كان التخلف لمرض؛ وفيما عدا ذلك يقبض النائب نصف راتب المنوب عنه.

وإذا فرغ وظيف بسبب وفاة مدرس فإن النائب يستحق نصف الراتب إلى أن يتعين عوضه نهائيا.

الفصل الحادي عشر

إن ظهيرنا الشريف هذا غير نهائي وسيغير أو يكمل بحسب ما تدعو إليه الحاجة والسلام في ١٠ حجة عام ١٣٥١ الموافق ٣١ مارس سنة ١٩٣٣، قد سجل هذا الظهير الشريف بالوزارة الكبرى بتاريخ ١٥ محرم عام ١٣٥٢ الموافق ١٠ مايه سنة ١٩٣٣» صح منه.

ونص آخر في تأديب المدرسين والموظفين والطلبة المنظمين وغير المنظمين:

«يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره أننا اصدرنا أمرنا الشريف بما يأتي:

الفصل الأول

(في تأديب المدرسين والموظفين الدينيين)

كل مدرس أو موظف بمسجد القرويين أو بمعهد من المعاهد العلمية المغربية يشتغل داخل المسجد من المساجد أو زاوية من الزوايا أو خارجًا عنها بإلقاء دروس أو خطب أو تحرير مقالات أو توزيع أوراق أو منشورات من شأنها أن تهيج أفكار الطلبة أو تلهيهم عن التعلم أو تشوش الفكر العام أو تمس بحرمة المساجد وبوقار العلم يعرض على مجلس تأديبي يمكنه أن يصدر عليه إحدى العقوبات الآتية:

أولًا: الإنذار.

ثانيا: تثقيف مرتبه لمدة لا تتجاوز نصف شهر.

ثالثًا: تثقيفه عن وظيفه مع إسقاط مرتبه لمدة لا تتجاوز ثلاثة أشهر.

رابعًا: تنقيص مرتبه.

خامسًا: إسقاطه من مرتبته إلى أسفل منها.

سادسًا: عزله.

الفصل الثاني

(في تأديب الطلبة)

كل طالب مقيد بزمام طلبة القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية يصدر منه ما ذكر في الفصل الأول من المخالفات سواء كان ذلك داخل مسجد القرويين أو غيره من المساجد أو الزوايا أو خارجا عنها أو ينخرط في حزب من الأحزاب السياسية يعرض على المجلس التأديبي وتمكن معاقبته بإحدى العقوبات الآتية:

أولا: الإنذار.

ثانيًا: منعه من الدخول في أي امتحان من الامتحانات عامًا كاملًا.

ثالثًا: إخراجه من القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية لمدة لا تتجاوز سنتين.

رابعًا: إسقاطه إسقاطًا نهائيًا من زمام الطلبة.

الفصل الثالث

كل عالم من علماء القرويين أو غيره من المعاهد العلمية المغربية الغير المنظمين في

سلك العلماء المدرسين أو الموظفين تصدر منه إحدى المخالفات المبينة في الفصلين السابقين يمنع من حقوقه العلمية ولا يمكن توظيفه في وظيف من الوظائف الدينية أو العلمية في كل المعاهد العلمية المغربية لمدة يحددها المجلس التأديبي بحسب الجريمة.

الفصل الرابع

ويعاقب بمثل العقاب أعلاه كل مدرس أو ملحق به أو طالب علم يعين غيره على المخالفات المذكورة أعلاه.

الفصل الخامس

كل شخص غير المبينين في الفصول السابقة يشتغل داخل مسجد القرويين أو غيره من المساجد أو المعاهد العلمية المغربية أو الزوايا بإلقاء دروس أو خطب أو محاضرات تمس بالسياسة أو يقوم بتوزيع أوراق ومنشورات سياسية يتعين على القائمين بشئون تلك المساجد أو المعاهد أن يخرجوه منها فورًا وإن لم يستطيعوا ذلك بأنفسهم فلهم أن يستعينوا بالقوة المخزنية ويمكن بعد ذلك أن يحاكم بحسب ما تقتضيه القوانين الجارية.

الفصل السادس

(في مجلس التأديب)

أمَّا المجلس التأديبي الذي له النظر في مراقبة من ذكر في الفصول السابقة فهو المجلس التحسيني بالقرويين الذي يضاف إليه ثلاثة من علماء القرويين ومراقب التدريس في كل ما يرجع لعاصمتنا الفاسية؛ وأما في غيرها من مدن أيالتنا الشريفة فيتركب المجلس التأديبي من القاضي وثلاثة من العلماء.

الفصل السابع

(في تعيين أعضاء المجلس)

أما العلماء المضافون للمجلس التحسيني بالقرويين لعاصمتنا الفاسية وللقاضي بغيرها من مدن أيالتنا الشريفة فيعينون بقرار من وزيرنا الصدر الأعظم لمدة عامين.

الفصل الثامن

(في استئناف أحكامه)

يمكن للمدرسين والموظفين وغيرهم من مطلق العلماء أن يستأنفوا أحكام المجلس التأديبي إلى المجلس الأعلى للعلوم الإسلامية بأعتابنا الشريفة فيما يرجع للأحكام الأربعة الأخيرة المذكورة في الفصل الأول من هذا الظهير الشريف، كما يمكن ذلك للطلبة فيما يرجع للإسقاط النهائي، والسلام وحرر بالرباط في ١٥ محرم عام ١٣٢٥ الموافق ١٠ مايو سنة ١٩٣٣».

وواعد أيد الله أوامره ووعده الملوك ملك الوعود، وتحقيق إنجازه في دائرة المتحتم معدود، بالحسنى والزيادة، لمن أحسن الطلب وأجاد الإفادة، فنهض العالم بأعباء التعليم وقد احتزم بحزام الحزم، وامتطى صهوة العزم، ونفذت أشعة نشاطه إلى نفوس الطلبة فتكهربت أسلاكها، واستنارت أحلاكها، واستدارت أفلاكها، وسبَّحت أملاكها، وسَبَحت في بحار العلم الصحيح أسماكها، وتسامى عن تناول الأخلاق السافلة سماكها، وبذلك أصبح شمل الكلية مجموعا، وعلم العلم بها بين الطلبة مرفوعا، وعملهم بالجد والاجتهاد مشفوعا، وأملهم بدافع الإخلاص إلى تحقيق النية مدفوعا، وأي حسنة تضاهي هذه الحسنة في الدين، أو توازي هذه الخصلة الجامعة لأنواع الشرف المكين، الكفيلة بالتمكن من كل ما فيه صلاح وتمكين، لقد دبت والله روح النهضة العلمية في هذا المجتمع المغربي حتى نفض العالم عن أعطافه

غبار الكسل والخمول، وأصبح مشغوفًا بالكد والعمل لتحقيق المأمول.

هذا وإننا لا نرتاب في أن همة مولانا الفعالة بأمر الله وعناية رجال دولته المخلصين، متعلقة جد التعلق باستئناف النظر فيما رتب من الكتب المقروة المقررة، وتقديم الأصلح منها على الصالح، وتبديل النافع منها بالأنفع، ووضع الأفيد منها بين يدي الطالب موضع المفيد، وإعطاء كل من الأساتيذ ما له قدرة على تدريسه من الفنون التي تخصص فيها واختص بها، فلا يكلف أستاذ بتعاطي ما لا يحسنه، أو يصعب عليه تعاطيه ولا يستحسنه، مع وجوب مراعاة ما يقتضيه الامتحان السنوي من عدم المحاباة وإعطاء القوس باريها، وإجراء المياه ضمن مجاريها، وما ذلك على إنصافهم وإخلاصهم لدينهم ووطنهم وأبناء ملتهم بعزيز، ولا سيما وذلك من أعظم دواعي احترام الأستاذ وتعظيمه في أعين التلاميذ والأخذين، وتهافتهم على حلقات دروسه بكل ارتياح، واطمئنان ونشاط الأمر الذي عليه مدار النجاح والفلاح، وتحقق الإصلاح والصلاح، فإن العالم إذا أسند إليه تدريس ما لم يحط به خبرا كان ذلك أدعى إلى تحقير الطالب لشأنه ورغبته عن حضور درسه، ودبيب الكسل والخمول إلى نفسه، وتضليله لأبناء جنسه، وضياع يومه وغده وأمسه إلى أن يدرج في رمسه، والحال أن هذا الزمان زمن تقدم وطموح، لا زمن تأخر وجموح، على أن المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور، ومن الضروري لدينا أن لمولانا أيد الله تمام الرغبة في تأليف القلوب وتوحيد الأفكار على ما تحصل به سعادة أمته، والعروج بها إلى أوج الرقي وقمته، ويقيننا أن أول خطوة خطاها في هذا السبيل كانت في أرقى درجة وصل إليها أسلافه الكرام من هذا القبيل:

قل للذين تكلفوا زي التقى ... وتخيروا للدرس ألف مجلد

لا تحسبوا كحل العيون بحيلة ... إن ألمها لم تكتحل بالأثمد

ولا غرو أن يدخر لبعض المتأخرين، ما عسر إدراكه على كثير من المتقدمين، فإن

دائرة الفضل أوسع، وكرم الله يضيق عنه كل متسع، فقد تأتى بوجود مولانا وجوده في زمانه، ما لم يتيسير لملك قبل في أوانه.

حسن التفات لتدارك ما فات

غير بعيد ولا بدع على مجلس وزراء مولانا الأعلى أن يلتفت بنوع خاص إلى تحقيق هذا الطلب، وإبرازه للعيان في ثوب قشيب بأدنى سبب، فإن بطانة الخير، لا يعسر عليها تسيير هذا السير، في الزمن اليسير الوجيز، وما ذلك على مريدي الإصلاح بعزيز.

رجوع وانعطاف

لما رأى مولانا سدده الله ما ألمّ برئيس المجلس العلمي أبي العباس أحمد ابن الجيلاني من الألم المزمن الذي حال بينه وبين القيام بأشغاله المنوطة به وكاد النظام أن يختل، وأوشكت العرى أن تنحل، أسند رياسة المجلس العلمي إلى شيخنا ابن عمنا أبي محمد عبد الله بن إدريس الفضيلي أنجح الله بوجود مولانا الإمام المساعي على يده حتى يتمتع الفكر العام بالاستمداد من مدده.

وقد فتح دامت عزته باب الامتحان على مصراعيه برباط الفتح لسائر طبقات الطلبة بعموم المغرب الأقصى «ما عدا طلبة القرويين فإن امتحانهم لا يكون إلا بالقرويين» ويكون الامتحان لغيرهم بالبلاط الملكي تحت رياسة وزير العدلية الشريفة ونجز العمل بذلك فعلا في هذه السنة ١٣٥٦ وكان الشروع فيه يوم الإثنين عاشر جمادى الأولى ١٣٥٦ موافق ١٩ يونيه سنة ١٩٣٧ وتم العمل يوم الأربعاء ١٢ من الشهر عشية، ولا ريب أن هذا مما ينشط الطالب ويبعث حركة علمية ذات أهمية في شباب الشعب كله ولا سيما من حالت بينه وبين الرحلة للتلقي بالقرويين الظروف الحاضرة وكثير ما هم، وقصر شهادة العالمية على المتخرج من القرويين حيف على

العلم والعلماء؛ إذ كثير من أئمة العلم والأدب ونقاده بالمغرب لم يتخرج من القرويين ولا عرف فاسًا لا قديمًا ولا حديثا، وكم من عالم لم يتخرج من فاس قد تخرج عليه العدد العديد من الفاسين وهذا مما لا أخال أحدا من بني جلدتي اتصف بالإنصاف ينازعني فيه أو يتوهم أنه غض من القرويين أو إنكار لفضيلته.

ومن آثاره بفاس

تنظيم خزانة القرويين الفاخرة

لقد أصدر مولانا أيده الله أمره المطاع بتنظيم الخزانة القروية تنظيما جديدا وإنقاذها من فتك الأرضة بما أبقته اليد العادية من الكتب العالية ذات القيم الغالية التي قضت على نفائسها العارية، حتى أصبحت الخزانة من كثير مما يزينها عارية، بنهبها وإتلافها في السر والعلانية، فشيدت البناية المشتملة على بيوت ثلاثة زيادة على الخزانة الكبرى القديمة، أحدها خصص لوضع الكتب المطبوعة على اختلاف أنواعها، وثانيها لوضع المخطوطات الصغيرة الحجم، وثالثها لحفظ الأدوات والآلات اللازمة للخزانة، ووسعت قاعة المطالعة، وأُصلحت قبة الخزانة الكبرى القديمة إذ كان الخراب استعمرها أعواما وأُحدث باب بخربة الخرازين من السبيطريين لعموم زوار الخزانة عن اختلاف مللهم ونحلهم ليعم النفع بما فيها من النفائس والذخائر النادرة الوجود وأُسست ميضأة لخصوص القيمين بها والمطالعين.

ولقد جرى مولانا على سنن أسلافه في تحبيس الكتب المفيدة عليها، ومما حبسه شرحا الإمامين الأبي والسنوسي على الإمام مسلم والبحر المحيط تفسير الشيخ أبي حيان وما معه والإصابة لإمام الحفاظ ابن حجر العسقلاني مع الاستيعاب لابن عبد البر وشرحا الإمامين الحطاب والمواق على المختصر الخليلي وهذا نص التحبيس:

«محمد بن يوسف

الحمد لله، حبس مولانا الإمام ظل الله على الأنام، السلطان المحفوف بالنصر والتأييد المؤيد، أبو عبد الله سيدي محمد ابن السلطان المقدس مولانا يوسف ابن السلطان المقدس مولانا الحسن ابن موالينا الخلفاء الراشدين، الأئمة الهداة المهتدين، الشرفاء السادات العلويين، أيد الله للإسلام شريف دولتهم، وأنار جهات البسيطة بأنوار معدلتهم، هذا الكتاب المسمى مواهب الجليل على مختصر خليل المشتمل على خمسة أجزاء على خزانة كلية القرويين التي إحياؤها من شريف آثاره، وتنظيمها من أجل أعماله، ليتنفع به طلبة العلم الشريف تحبيسا مؤبدا، ووقفا مخلدا، قصد بذلك - رضي الله عنه- وجه الله العظيم، والتماس الثواب الجسيم، وبسط أيده الله يد قيم خزانة القرويين على حوزه فحاز أربع نسخ منه ووضع خط يده العزيزة أعلاه مصححا له في عشري ربيع الأول النبوي عام خمسين وثلاثمائة وألف ١٣٥٠».

وهو مكتوب على أول ورقة منه كما كتب حبس غيره من الكتب القيمة المشار لها المحبسة على خزانة الكلية المذكورة.

وكما حبس على القرويين، كذلك حبس مصاحف كريمة من ماله الخاص على غيره من المساجد العظام كجامعه الفخم بالدار البيضاء وجامع أهل فاس بالرباط الذي يصلي فيه الجمعة وجامع الأندلس بفاس وجامع تازا.

وقد سار مولانا الإمام في تحبيس الكتب على سنن أسلافه الكرام فتلك عادتهم حتى على النساء وقفت على كتب عليها تحبيس عليهن وبخزانتي مصحف كريم حبسه السلطان المولى علي بن إسماعيل على أمه لتتعبد بالتلاوة فيه كما أن النساء منهن حبسن كثيرا من قيم الكتب، فمن ذلك ما حبسته في العهد الأخير الشريفة الجليلة السيدة فاطمة بنت السلطان المولى الحسن «عمة جلالة مولانا المؤيد» وزوج قاضي

مراكش الشهير مولاي مصطفى العلوي فقد حبست كتبا عديدة قيمة نادرة على خزانة القرويين شكر الله سعيها وأجزل ثوابها ونص التحبيس المكتوب على أحد تلك الكتب:

«الحمد لله، لما أن كانت الشريفة الجليلة عمة مولانا المنصور بالله حبست كتاب علمية على خزانة القرويين وعددها مائتا جزء بالتثنية وثلاثة وسبعون جزءًا لأجل الانتفاع بها ووجهتها الوزراة الوقفية أدام الله عزها لناظر القرويين حينه الشيف الأجل سيدي الحسين بن ثابت وأمرته بالكتب على كل جزء منها تحبيسه على الخزانة المذكورة عدليًا ويدفعها للقيم بالخزانة المذكورة بعد الإشهاد عليه، وبالاطلاع على كتاب الوزارة المذكورة عدد ٤٣١٣٣ الوارد صحبة ما ذكر يشهد حينئذ شهيداه أمنهما الله بمنه بأن هذا الكتاب وهو كتاب النقطة لسيدي عبد الله الغزواني حبس على الخزانة المذكورة لانتفاع الطلبة به من تحبيس الشريفة المذكورة شكر الله سعيها وأجزل ثوابها بمنه، فمن وقف على الكتاب الوزيري المذكور قيد به شهادته وفي ١٦ صفر عام ١٣٥٣: جعفر الصقلي الحسن العلوي».

مجلس السلطان سيدي محمد بن يوسف لكتابة ، وراءه أبناؤه
على جزاءة جامع القرويين ، وبطلا جهة المغرب

١٦٨

ومن أهم ما في تلك الكتب التي حبستها نسخة من مختصر أب مصعب الزهري أحمد بن أبي بكر[١] رواية أبي إسحاق إبراهيم بن سعيد ابن عثمان المدني كتب في شعبان من سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وعليه سماعات ثلاثة ومقابلات وهو بخط حسين بن يوسف عبد الإمام الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين الأموي بالأندلس وهو بقسم ٤٠ من خزانة القرويين تحت عدد ٨٧٤.

وقد زار جنابه العالي هذه الخزانة مرات أولاها في رابع صفر عام تسعة وأربعين وثلاثمائة وألف وثانيتها في خامس وعشري محرم عام خمسين وثلاثمائة وألف وبحث الكتب وقلب الدفاتر واطلع على البرامج المتخذة لها قديما وحديثا ودخل بيت المطالعة وغرفة الخرم التي اكتشف فيها كنوزًا ثمينة نادرة الوجود في المشارق والمغارب وفحص بتدقيق واستيعاب وحض القيم على الجد والاجتهاد في موالات العمل والأخذ بالحزم في صيانة الكتب وضبطها واستخراج كنوزها الثمينة من طيات العدم وإبرازها إلى الوجود.

ولم يزل أدام الله وجوده وجَوده وعزه وإجلاله يحض بكل مناسبة على اقتناء العلم الصحيح والورود من مناهله الصافية ولم يأل جهدا في حياطة سياج العلم وذويه من معلمين ومتعلمين وما فتئ يصرح بأن الاجتهاد في تحصيل العلم والمعارف هو المجد الحقيقي وأن قيمة الإنسان ما يحسنه وأنه لا يمكن الوصول للغابة النبيلة إلا بالعلم ويرغب في حفظ القرآن والمحافظة عليه وعلى الثقافة الإسلامية الصحيحة المرتكزة على أسس اللغة العربية والدين القويم ويغري على الدءوب على ذلك والجد

---

(١) من ذرية عبد الرحمن بن عوف، تولى قضاء الكوفة والمدينة المنورة وبها توفي سنة ٢٤٢ أو في التي قبلها. روى عن مالك موطأه وتفقه بأصحابه المغيرة وابن دينار وروى عنه الستة لكن النسائي بواسطة، ذكره الحررحي في خلاصة التذهيب وابن فرحون في الديباج وقال: وله مختصر في قول مالك المشهور كذا في المدارك هـ.

والاجتهاد في تحصيله بكل وسيلة وينفر من الجهل والخمول والإخلاد إلى أرض الراحة والكسل و التدهور والتقهقر كان الله له وليا ونصيرًا ومعينا وظهيرا.

ومن آثاره بفاس أيضا تجديد القبة الكبرى بجامع القرويين المسامتة لقبة المحراب من الصف الأول إلى الثريا الكبرى وإعادة بناء مقصورة الخطيب والإمام الراتب به وميضأتها، وإصلاح مسجد الزليج بحومة رحبة التبن الواقعة قرب قنطرة الرصيف، ومسجد حومة رأس الجان، ومسجد ابن البياض، وإجراء الإصلاح بسائر مدارس فاس وإحداث مدارس لتعليم اللغتين العربية والفرنسية، وتنوير بيوت مدرستي العطارين والمصباحية وغيرهما بالضوء الكهربائي وتجديد مدرسة المهندسين التي بمشور الدكاكين بعد أن كادت تصير أطلالا بالية وردها لشبابها.

وتأسيس مدرسة صناعية ذات أهمية كبرى وفائدة عظمى بباب سيدي مجبر وجلب ما يتوقف عليه فيها من أدوات التعليم العملي وقد كان سموه زار هذه المدرسة قبل لما كانت بهري باب أبي الجنود ولما استعرض أمام جنابه الأسمى ما بأقسامها من الأدوات الفنية والأساتيذ القيمين بكل قسم لاحظ أيد الله تأييده خلوها من أستاذ التعليم العربي والتفت لبعض حاشيته الكريمة مستفهما عن السبب وذلك مما زاد أمته المغربية إغراقا في محبته وتيقنا بسعيه في صلاحهم.

وتأسيس محل لمزاولة ناظر المسجد الجامع بفاس الجديد أشغاله الحبيسة، ومدرسة ابتدائية بحومة الدوح على مقربة من سيدي الخياط، وإصلاح مسجد حومة السياج ومسجد درب أبي السعود، وتجديد جامع درب الشيخ وجامع فوارة وجامع مولاى عمر ومسجد العبادسة وجامع زقاق الطالعة مع ميضأته، وفتح زاوية الشيخ ماء العينين التي بدرب السراج وترتيب الإمام للصلوات الخمس والمؤذن بها، وإصلاح المارستان وتنظيمه على أبدع طرز، وبناء بيوت به للمعتوهين لكل واحد منهم بيت يخصه، وتجديد بناية للضعفاء والمساكين بجرواره تجديدا كفيلا بأسباب الراحة

لأولئك البؤساء، طبق ما تقتضيه الأنظمة العصرية، وإصلاح مسجد جزاء ابن عامر و«الجامع المزجلة» بالسياج، وجامع سيدي التالي، ومسجد الحدادين بالنخالين، وجامع النارتجة بالبليدة، ومسجد المصالي قرب باب عجيسة، ومسجد القفازين بالجوطية، وتجديد مسجد بتخربشت من حومة العيون، وتجديد ميضأة قصبة الأنوار، وإصلاح جامع البيضاء بفاس المرينية والميضأة والسقاية العمومية خارجه وتجديد منارته، وإصلاح المدرسة الشهيرة بالعنانية، الواقعة أول شارع الطالعة الكبرى إصلاحا متقنا مع المحافظة التامة على نقشها الأثري البديع واختيار الفنانين الماهرين للعمل فيها فعادت بهجتها القديمة لشبابها، إصلاح مساجد زقاق الحجر بل منها ما أُعيد بناؤه من جديد، وإصلاح جامع لبستيونية الواقعة عند أول شارع الرصيف، وجامع الأبارين وتجديد بعض سقفه على ما كانت عليه من النقش الفائق، والتزويق الرائق، ومدرسة الصفارين ومدرسة الشراطين ومدرسة الأندلس وإدخال الماء الجديد إليها، ومساجد الكدان والصفاح والرميلة، وتجديد مسجد درب ابن عتيك من حومة الطالعة.

وتجديد مسجد الفخارين قرب باب الفتوح والزيادة في توسعته زيادة لها بال صار بها مسجدًا حافلا، وقد نقش في الخشب بأحرف بارزة بأعلا بابه ما لفظه: «أمر ببناء هذا المسجد مولانا السلطان سيدي محمد أيد الله أمره» وتجديد كثير من المساجد والكتاتيب غير ما ذكر.

ومن آثاره تأسيس الجسر الجديد بين حومتي المخفية والقلقليين، وتأسيس مستشفى للفحص والكشف عن أحوال المرضى جوار ضريح الشيخ أبي غالب السالف الذكر، وإنشاء المستشفى الاحتياطي للأمراض التي يخاف انتشار العدوى مها محذاء باب الفتوح، ونقل المحكمة الباشوية من دار أبي علي الواقعة بحومة المعادي إلى المحل الذي كان معدًا قبل للمصرف المخزني المغربي الواقع بواد الفجالين، وضم

مكتب المندوبية المخزنية إليها، وإصلاح الدار التي كانت قبل معدة لسكنى قاضي عدوة القرويين وصارت اليوم محلا لمزاولة أشغال المجلس العلمي التحسيني، ونقل محكمة قاضي فاس العليا من جامع الحمراء إلى مشور الدكاكين، وإحداث أبواب بالمدينة منها باب الخوخة قرب باب الفتوح وباب قرب باب عجيسة وآخر بساحة ابن البغدادي من أبي الجنود وإتمام بناء المدرسة الثانوية، وإدخال الماء عين الشقف وغيرها وإجراؤه بأزقة البلدين البيضاء والإدريسية زيادة على مائي عين عمير والوادي القديمين وإجراؤه ببعض المساجد والزوايا والأضرحة والدور والحومات المفتقرة إليه قبل، كحومة أبي جيدة وجعل سقايات للسبيل، وتأسيس مركز لإيواء المتشردين وتطهير أجسامهم وتنظيف ثيابهم بباب الفتوح، وإصلاح المجزيرة الأهلية والسوق البلدي، وترصيف الطرق وتعبيد الأزقة والشوارع.

ومنها تجديد جامع الأندلس بها ورده إلى شبابه وتحبيس مائة محصف عليه من خاص ماله يوم افتتاحه بعد انتهاء العمل في إصلاحه ليتعبد التالون بالتلاوة فيها، وكان افتتاحه بصلاته فيه صلاة الجمعة من صفر ١٣٥٦ أثناء زيارته لفاس تقبل الله عمل مولانا وأجزل بره ونصره نصرًا مؤزرًا.

أثاره أبد الله نصره

بناحية فاس وما والاها

منها بناء مسجد العنصر برغيوة، ومسجد مطحن بتاونت من مزيات، ومسجد اللبابة ببني راشد من بوبعان من قبيلة بين زروال، ومسجد بني وليد.

آثاره أبهج الله عصره

بتازا ونواحيها

منها إصلاح مسجد الأندلس العتيق البهي البهيج المتسع الأكناف الرحب الفناء

إصلاحا متقنا يعد تجديدا.

ومنها تجديد الجامع الأعظم[١] بها تجديدا رجع به لريعان شبابه بعد أن كاد الخراب أن يصيره في خبر كان، وكان يوم افتتاح الجلالة له بعد انتهاء العمل فيه يوما مشهودا تجلت فيه أبهة الملك ومهابة الإسلام في أكبر المجالي، وأدى فيه الجناب المحمدي فريضة الظهر جماعة في احتفال واحتفاء ليس عليهما من مزيد، وحبس عليه مائة مصحف ليتعبد بالتلاوة فيها، وأمر أيده الله بإعمال رخامات فلكية لضبط الوقت فيه ومعرفتها بالظل الشمسي فنصبت واحدة بالصحن والباقي بسطح هذا المسجد.

وجدد مسجد الشيخ مصباح، ومسجد السوق، ومسجد الزاوية، ومسجد ميسور مع منارته من اوطاطا الحاج بناحية تازا، ومسجد المعيريجة بقبيلة رشيدة من ناحية تازا أيضا.

آثاره أيده الله بوجدة ونواحيها

منها توسعة مسجدها الأعظم وإصلاحه إصلاحا بلغ الغاية في الإتقان وبناء مدرسة للطلبة بإزائه «عوضا عن المدرسة القديمة التي أضيفت للمسجد توسعة له» بها نحو العشرين بيتا ما بين علوية وسفلية منمقة البناء، مخرمة السقوف، مزلجة الأرض بأرفع الزليج منورة بالكهرباء وبها ميضأة نظيفة وأنابيب تجري فيها المياه ومواضع للوضوء ومسجد للصلاة وتعاطي الدروس، وكان افتتاحها بحضور الولاة وقضاة الناحية بعيد افتتاح الجامع المحمدي البيضاوي في سنة ١٣٥٥.

---

(١) قال في الاستقصا في ترجمة السلطان يوسف بن عبد الحق المريني: إنه في سنة ٦٩٣ فرغ من بناء جامع تازا وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطارا وعدد كئوسها خمسمائة كأس وأربعة عشر كاسا وأنفق السلطان في بناء الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبيا.

ومنها تأسيس المحكمة الشرعية، وتأسيس ميضأة عمومية، وتجديد دار الإمارة وإدارة الأحباس وعدة أضرحة للصالحين ومسجد بركان من ناحية وجدة ومسجد كرسيف.

ومنها تدشينه بنفسه لخط السكة الحديدية العريضة الذاهبة من فاس لوجدة المرتبط مع الجزائر في مهرجان عظيم لم يتقدم نظيره أبدى فيه الولاة والسكان احتفاء لا مزيد عليه على اختلافهم من مغاربة ونزلاء جزائريين وأوربيين، وكان ذلك أوائل سنة ١٣٥٢.

آثاره سرمد الله عزه بمكناسة الزيتون

منها تأسيس المدرسة الصناعية ذات الأهمية الكبرى والجدوى العظيمة، المنشأة خارج باب زين العابدين أحد أبواب مدينة مكناس، وتجديد منارة مسجد باب مراح وبناؤه من أساسه بالحجر والأجور بناء متقنا مع شدة المحافظة على شكله القديم حتى أنه يخيل لمن عرفه قديما ولم يعلم بتجديده أنه هو لم يمس.

ومنها إعادة سقف المباح الجنوبي بالمشور الإمامي خارج باب قصر المخشة السلطاني من جديد على الهيئة التي كان عليها، وإصلاح صهريج السواني ورده لبهجته وشبابه بعد أن عشش الخراب فيه وباض وفرخ أعواما.

ومنها تجديد الحمام الجديد وفرش أرضه بصافي المرمر الأبيض والأسود وترصيع بعض جدرانه بالزليج الملون، وتجديد حمام جامع الزيتونة والزيادة في توسعته وفرش أرضه بالمرمر الصافي البديع، وإصلاح حمام المولى عبد الله حمد الولى الأشهر إصلاحا متقنا رد به لشبابه.

ومنها تجديد حمام سيدي ملوك، وتجديد حمام تزيمي الكبرى ومسجدها، وتجديد حمام السيد عمرو بو عوادة، وتجديد مسجد براكة، وتجديد مسجد حومة الصباغين،

وتجديد مسجد حومة التوتة وإعادة بناء منارته، وتجديد مسجد مولاي يحيى، وتجديد مسجد حومة بين العراصي بدرب الفشار، وتجديد جامع الزرقاء، وتجديد مسجد بريمة وإنشاء حمام بها، وتجديد مسجد سوق السرايريين، وتجديد مسجد الشيخ قاسم البندوري بطريق سيدي موسى من حومة التوتة بعد أن لعب الخراب فيه أدوارًا أعوامًا كثيرة، وإصلاح مسجد الشيخ أحمد ابن خضراء الولي الأشهر وتجديد ميضأته، وتجديد مسجد فرن النوالة، وتجديد مسدد جراوة من حومة الجبابرة، وإصلاح حمام مسجد الأروى، وإصلاح مسجد حومة بني محمد، وتجديد مسجد باب ابن القاري الداخلي بعد أن استعمره الخراب أعواما كثيرة.

ومن ذلك إصلاح ما كان مفتقرًا للإصلاح بجامع القصبة الذي تؤدي فيه الجلالة السلطانية كآبائها وجدودها الملوك المتقين فريضة الجمعة غندما يكونون بالعاصمة الإسماعيلية المكناسية وتنويره بالضوء الكهربائي، وإحداث باب ثالث به رومًا لتخيف وطئة شدة الازدحام الذي يقع عند الخروج منه بعد الفراغ من الصلاة، وإننا لنرجو ونأمل إصلاح ميضأته ومائه إصلاحًا لائقا بوجود مولانا وحسن رعايته وعنايته.

ومنها تجديد ما دعت الضرورة لتجديده من القنوات الموصلة الماء لذلك المسجد الجامع، وتجديد المسجد المجاور للزاوية التجانية، وتجديد مسجد زقاق القرموني، وتجديد مسجد الكرمة بحومة القنوط، وتجديد جامع النجارين العتيق، وتجديد مسجد الكرمة من حومة زنقة الأنوار، وتجديد مسجد سيدي اليبوري، وتجديد مسجد قصبة تولال ومنارته وتصييره مسجدا جامعا تقام فيه الجمعة وإنشاء ميضأة به، وتجديد مسجد الحاج القدوة وإصلاح ميضأته، وتجديد مسجد وسعة الشيخ أحمد ابن خضراء، وتجديد سقف مسجد الشافية، وتجديد جامع الحجاج، وكذا العلوي حذوه المحمول عليه، وتجديد المكتب المحمول على الساباط الواقع بين المسجد

الأعظم والقيسارية (سوق البز)، وميضأة المسجد الأعظم المقابلة لبابه الموالي لسوق الخضارين، وتجديد مسجد العبادسة المعروف اليوم بمسجد الطبالين وقد كان خرابا، وتجديد المكتب المحمول على الساباط الكائن بزقاق الحمام الجديد بعد أن أنشب الخراب فيه أظفاره وصيره في خبر كان مدة أعوام.

وكذلك إصلاح مسجد باب عيسى وميضأته إصلاحا متقنا وتسقيف ما كان مفتقرا للسقف منه، ومسجد درب السلاوي ومكتب تعليم الصبيان حذوه، وإصلاح ضريح جد الأملاك وفخر السلاطين الجد الأكبر مولاي إسماعيل برد الله ثراه أرضا وسقفا وجدرات وتنويريه بالكهرباء، وتأسيس مباح بمقبرته الجديدة يقي الزوار والمشيعين والتالين من المطر في إبانه وصولة الحر والقر، وإعادة جدارها المجاور لمكتب الناحية المكناسية سابقا بدرب حمام مولاي إسماعيل من أساسه، وتجديد سقاية السبيل خارج الضريح المذكور من جهة القبلة وإصلاح ميضأته إصلاحا متقنا، وإصلاح ميضأة باب الرايس الأشهر وتجديد سقايتيه، وبعد أن كاد الخراب يجعل الكل في خبر كان، وإصلاح ميضأة جامع الزيتونة، ومسجد السيد زروق من حومة الأخوخ وتجديد ميضأته واجراء الماء به، والمكتب المحمول على السقاية والساباط أمام ضريح المولى عبد القادر العلمي الشهير، ومسجد سيدي الضفيفر حذو روضة الشيخ عبد الله الجزار، وتجديد سقاية السبيل الواقعة بساحة قبة الخياطين بين بابي ابن القاري الداخلي وعرصة البحراوي، وتجديد سقاية الهديم وترصيع جدارها بالفيسفاء، وتجديد ما اندثر من المدرسة العنانية طبق ما يرتضيه الفن الجميل، وإصلاح ميضأة سوق الخضارين، وتجديد مسجد ابن عزو مع ميضأته بحومة السويقة، وتجديد سقف مباحات ثلاثة من المباحات الخمس التي بين بابي الوايس وقصر المدرسة السلطاني يمين الذاهب من الباب إلى القصر المذكورين.

وإنشاء صهريجين للسباحة بغرسة السلوي الشهيرة خارج باب أبي العمائر أحد

أبواب مدينة مكناس قديما، وإدخال ماء عين خروبة للمدينة الجديدة المحدثة بأرض حمية من مكناسة الزيتون.

وإجراء ماء عين تاكمة بسقايات السبيل بالمدينة العتيقة مكناسة أيضا، وإدخاله لبعض دورها المفتقرة إليه، وذلك زيادة على ماء واديها القديم الذي كان أدخله إليها سيدنا الجد الأكبر السلطان المولى إسماعيل وحبس الفاضل عن كفاية دروه وقصوره وما أنعم به على بعض أعيان دولته، على المسجد الأعظم والحمامات وسقايات السبيل ولذلك لم يكن جريانه عاما في جميع دور البلد، ومدقنوات للوادي المضاف زيادة على أودية المدينة الإسماعيلية المحكمة البناء والإتقان، وإصلاح قصر المحنشة الفاخر وتجديد عدة أماكن به إصلاحًا وتجديدا متقنين، وتأسيس المجزرة خارج باب السيبة أحد أبواب البلد على الطرز العصري، وتأسيس سوق بيع الخضر والبقول، وسوق بيع الزروع وعلى اختلاف أنواعها على النمط العصري، وإجراء الماء لمستشفى أبي عثمان سعيد المشترائي خارج باب وجه العروس، وتأسيس السجن المدني هنالك وعدة دور، وترصيف جل الشوارع وتأسيس عدة ميضات للعموم، وإحداث باب جديد باجدال يذهب منه القاصد لحديقة النعام من غير التواء، وتجديد سور المقبرة الكبرى خارج باب السيبة حيث مدفن الشيخ عبد الله بن حمد والشيخ أحمد الحارثي والشيخ محمد ابن عيسى رضي الله عنهم، وبناء سورين للمقبرة المذكورة من حذاء باب المعراض الذي بإزاء باب السيبة المذكورة يمين الخارج منه إلى باب ضريح الشيخ ابن عيسى المذكور أيضا، وإصلاح المحكمة الشرعية إصلاحًا لائقًا لا يستهان به في الجملة.

وتأسيس القرية الحبسية بالمرس الإسماعيلي الأشهر، وتجديد مسجد الشاوية تجديدًا متقنا، أمد الله للإسلام والمسلمين في عمر مولانا الإمام وأيده وظفره.

ومنها مقاومته عضال داء البدع، والقضاء على ما يصادم به الدين من كل مبتدع،

والضرب على أيدي الملبسين والمشعوذين الذين تتمشى حيلهم على بسطاء العامة وكثير ما هم باسم الدين، قياما من جانبه الشريف بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أساس الدين الإسلامي الحنيف، واهتماما من جلالته بإصلاح رعيته التي استرعاه الله تعالى إياها فنفذ أمره العالي بأسرع من لمح البصر، وبدأت عوامل التفريق والتضليل تنمحي رويدًا رويدًا حتى ظهر الحق على الباطل وانتصر، وبدأ الشعب المغربي يرى الفترة التي طرأت عليه من جراء ذلك بعين السخط والاستياء ويتشبع بروح الإصلاح، وتطمئن نفسه إلى اعتناق كل ما فيه خير وصلاح.

ومن أهم الأسباب التي حملت مولانا الإمام على هذا الإصلاح الذي أرضى به الله والرسول وكافة الموحدين هو ما صار يجري بمكناسة الزيتون عاصمة ملك جدوده الأكرمين في عيد المولد النبوي من قيام الجهال والرعاع والأوباش بمهرجان عظيم يتجلى فيه الجفاء وتبرز فيه الوحشية والهمجية وتختلط فيه النساء بالرجال، وتكون المقبرة الإسلامية الكبرى محط الرحال، والقاذورات والأوساخ والأزبال، وإيقاد النيران في بطون القبور وإهانة كرامة الموتى واستعمال الطبول والمزامير والأبواق والشطح والرقص والردح والمهايتة، مع أن عيد المولد النبوي الأنور كان مظهر النور الذي أشرق على العالم ومصدر المدنية والدين الحق الذي ظهر أثره في كل إقليم، وعم الكرة الأرضية فضله العميم، فكان من الواجب أن تقام فيه الحفلات الدينية، والذكريات المحمدية، الخالية من كل شبهة، الحالية بذكر فضائل نبينا الحاملة على توحيد الجبهة، وإليكم نصوص المكاتيب الصادرة عن الأمر العالي المحمدي أسمى الله مقداره لباشا مكناس في ذلك أولها بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأعز الأرضى الباشا الأنجد السيد أحمد السعيدي رعاك الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير سعيدنا أيده الله، وبعد فقد وصل تشكي أهالي مكناس بما حل بمقبرتهم التي بها ضريح سيدي بنعيسى من تشويه زواره الذين يردون من البوادي

لزيارته في المولد النبوي وأن ذلك لا يحل شرعا ولا طبعا من نصب الخيام والقياطين وربط البهائم بها وتعميرها بالرجيع والأرواث وإيقاد النار على قبور المسلمين بها من غير احترام للمقبرين بها ولا حياء من أهاليها، وأطلع شريف علم سيدنا أعزه الله بذلك فاستقبحه للغاية وعده من الامتهان والاحتقار بحرمة المسلمين، وأمر أيده الله ألا يعود الزوار للنزول بالمقبرة المذكورة، وأن تنبني بعد هذا المولد الحاضر بحول الله من باب المعراض طريق واصلة إلى باب ضريح سيدي ابن عيسى بقصد مرور الزائرين من غير أن يموج أحد منهم في مقابر المسلمين، وصدر الأمر الشريف للناظر السيد أحمد الصبيحي في شأنه وعين دام علاه قائد مشوره السعيد وقائد الرحى معه لحضور اجتماعك أنت والمحتسب والأمين الأجل السيد الحاج التهامي بناني والفقيه النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان ونقيب أولاد سيدي بنعيسى واثنين من المجلس البلدي حتى تتذاكروا في ذلك وتكونوا عونا على تنفيذه كما أمر سيدنا أعزه الله وعلى المحبة والسلام ٧ ربيع النبوي عام ١٣٥٢ محمد المقري وفقه الله» صح من أصله.

هذا أول كتاب صدر من الجلالة المحمدية في موضوعه بواسطة وزيره الأكبر ولما ورد قائد المشور (بناصر بن عبد الرحمن السوسي) وقائد الرحى (عبد النبي بن العربي السوسي) متأبطين لهذا الكتاب أعلم الباشا من عين فيه للحضور وزاد عليهم قاضي المدينة (الفقيه السيد محمد بن أحمد السوسي) وخليفته (أعني الباشا) وهما السيد محمد بن المختار الفلالي والحاج محمد بن الجيلاني البخاري وبعدما اجتمع الجميع ناول الباشا القاضي الكتاب فقرأه على من حضر وأجاب الكل بالسمع والطاعة ودعا للجلالة المحمدية بمزيد النصر والتمكين، شاع ذلك النبأ في البلد فابتهج كل من في قلبه مثال حبة من إيمان، واستبشر حتى النساء والصبيان، ودعا الكل للجانب السلطاني بما يرجى من الله تعجيل قبوله.

ولما كان الغد خرج الباشا ورئيس بلدية مكناس ليعينا لمن يرد من الزوار لحضور

الموسم محلا لائقا لنزولهم فوقع الاختيار على فسيح قرب ضريح الشيخ الكامل أبي عبد الله محمد بن عيسى، وألزما من سارع للتخييم بالمقابر بالنهوض منها والتخييم بالمحل المعين وأوعدا من خالف الأمر العالي الصادر، وما كان عاشر الشهر المؤرخ به الكتاب حتى امتلأ ذلك البسيط المعين لنزول الواردين بالأخبية والخيام على نظام بديع أخذت من منظره البهيج صور ورسوم اقتناها عشاق المناظر والآثار والفن الجميل كتذكار.

وفي زوال اليوم الحادي عشر نادى في ذلك المخيم بعض شياطين الأنس بالرحيل من ذلك المحل والعودة إلى التخييم بالمقابر معلنا بأن ذلك عن الأمر العالي فما كان إلا كلمح البصر أو أقرب حتى امتلأت المقابر الإسلامية بالدواب الناطقة والناهقة والنابحة والصاهلة وعاد فرح أهل الدين ترحا وفرح من في قلبه مرض ومرح فقام وقعد لصدور ذلك الفعل الشنيع مراقب الناحية ورئيس البلدية وقسم المحافظة على الأمن العام وأمر خليفة الباشا في الحين بالخروج وإلزام الزائرين بالمكث في المحل المعين لنزولهم ثم اقتفوا أثره مع لفيف من العسكر لإرغام من تسارع للتخييم بالمقابر ولكن لما رأوا اختلاط الحابل بالنابل وكثرة الأخلاط والرعاع ظهر لهم أن الأصوب هو ألا يحركوا ساكنا في ذلك خوفا من صدور الفتنة التي هي أشد من القتل.

ولما بلغ ذلك علم الجلالة الشريفة أصدر أوامره العالية حالا للباشا مشافهة إذ كان ممن ورد للرباط من العمل لحضور العيد مع جلالته الكريمة بالبحث عن المنادي وإلقاء القبض عليه وتطيير الأعلام بحقيقة الواقع للجناب العالي ليجازي الفعال بما يستحقونه من التشديد في العقاب ردعا لأمثالهم.

ولما رجع الباشا لمحل مأموريته أجرى البحث في ذلك ولكن بكل أسى وأسف لم يقف للواقع على حقيقة فكتب للجلالة بأن مقدمات بحثه لم تنتج، ووجه أبناء الشيخ المذكور للحضرة السلطانية مع رسم يتضمن الأشهاد عليهم بعدم العود لما كان عليه

العيساويون من العمارة بالطبول والمزامير وغير ذلك فرفضت الجلالة اقتبالهم وأمرت بالكتب للباشا بأنه لم يصب في توجيههم للحضرة واستيناف أعمال البحث عمن نادى بالعود للمقابر ومنع بدع أتباع الشيخ بتاتا لا بضريحه ولا بغيره هذا نصه بعد الافتتاح:

«وبعد وصل كتابك بتوجيهك أولاد عيسى بنعيسى للملاقات بسيدنا فيما نسب إليهم كما وصل كتابك أيضا بما شافهتهم به بعد رجوعك من الأعتاب الشريفة في شأن عود الزوار إلى مقابر الأهالي بعدما نهوا عن ذلك وفق الصادر لك من أمر سيدنا أعزه الله وأجابوا هم ومقدموا طوائف العيساويين بألا يعودوا إلى مثل ذلك ولا إلى عمارة بالطبل والبندير والمزمار بضريح سيدي بنعيسى وتبرءوا من العلم بمن نادى بعُود الزوار إلى النزول بالمقابر حسبما بالرسم الذي وجهت وأطلعنا بذلك شريف علم سيدنا، فأجاب أعزه الله عن ذلك بأنه ما كان من حقك أن توجه المذكورين لشريف أعتاب سيدنا، وأمر دام علاه أن تعمل البحث الأكيد الموصل للعلم ولابد بمن نادى بالعود للمقابر، كما أمر دام علاه أن تلزم العيساويين ومقدمي طوائفهم ألا يعودوا للعمارة بالطبول والبنادير والمزامير لا بضريح الشيخ ولا بغيره لأن ذلك من البدع المتفق على إنكارها، ولتعجل عن الأمر الشريف في الإزعاج لبناء الحائطين من المعارض إلى باب السيد حسب الأمر الشريف الصادر بذلك للناظر هناكم والسلام في ٢٥ ربيع النبوي ١٣٥٢: محمد المقري» صح من أصله.

ثم لما حل الجناب السلطاني بالقصر الأمامي من مكناس أمر بعقد جلسة لحسم مادة تلك البدع المحدثة حضرها نائب الجرال كودو حاكم الناحية، ورئيس بلدية مكناس م.بوكي وصدر الوزارة السيد الحاج محمد المقري، والباشا السيد أحمد بن عبد السلام السعيدي الطنجي وقرروا بعد مراجعات اجتثاث تلك البدع من أصلها.

ثم إن قدماء تلاميذ مدارس مكناس راموا إقامة مهرجان يوم العيد النبوي وقرروا جعل أناشيد يكلفون صبيان المكاتب بحفظها ويظلون يوم العيد يطوفون بأزقة البلد

ينشدون تلك الأناشيد راكبين متون السيارات البخارية ومعهم المطربون في سيارة خاصة مغطاة بالزرابي ومكللة بالأزهار يغنون وينقرون آلات الطرب ويكون ختم مطافهم بضريح الشيخ الكامل مقلدين في ذلك ما يجري بطنجة يوم سابع عيد المولد كل عام في موسم السيد محمد الحاج بوعراقية من البدع التي لا تحل في دين، وقد غاب عن ذلك الشباب الناهض أن ما صمموا على فعله هو من باب غسل دم بدم وحسبوا بعدما نهوا عن ذلك أنهم يحسنون صنعا، ولما شاع عنهم ذلك وذاع حتى بلغ العلم الشريف أصدر أوامره العالية المطاعة للباشا بالضرب على أيديهم ومنعهم منعا كليا من كل ما يخالف المقرر ودونكم لفظ الصادر بعد الحمدلة والصلاة والتحلية:

«وبعد فبناء على ما تقرر لك هنالك في الجلسة التي حضرها نائب الجنرال حاكم الناحية ورئيس البلدية في شأن موسم عيساوة قد بلغ الآن لشريف علم سيدنا أن بعض المغرضين يهيئون خرق ذلك بإقامة مهرجان على ظهر الطوموبيلات وذلك يعد محاولة لخرق الأوامر المقررة وعليه فعن الأمر الشريف أسماه الله امنع كل محاولة تخالف ما تقرر واضرب على يد من يريد خرقها، واتخذ لذلك كل الوسائل الموصلة لتنفيذه بالحرف طبق أمر مولانا المعتز بالله وعلى المحبة والسلام في ٢٢ صفر عام ١٣٥٣ محمد المقري» صح من أصله.

ولم تقتصر الجلالة المحمدية في الأمر بحسم مادة البدع الضالة على مكناس بل عمته بسائر الأيالة كفاس ومراكش والرباط والدار البيضاء ما عدا زرهون فإن الأمر ازداد فيه تفاحشا هذه السنة يخجل وجه المروءة والدين وتعلل ولاته بأنهم لم يصدر لهم أمر بالمنع ولم يعلموا أن مراد مولانا الإمام محاربة كل بدعة وضلالة.

آثاره بنواحي مكناس

حفظه الله

وأسس مسجد قصيبة مُحَ وسعيد من آيت ورير وجعله مسجدا جامعا تقام به الجمعة ولا ينقصه غير المنارة للأذان ولا ريب أن همة مولانا فعالة تعلي كل منار، وتشيد كل فخار.

وأسس مسجدا جامعا بازرو زيادة على ما كان به من المساجد لضيقها بالمصلين.

آثاره دام علاه بزرهون

منها بناء المسجد اليزيدي بالزاوية الإدريسية، ومسجد أبي مروان عبد المالك ابن خدة، ومسجد النوالة،.ومسجد الحجر، ومسجد الخفرة، وسقف المباح القبلي داخل الضريح الإدريسي، ومسجد النساء به، والمسجد الحسني، ومكتب لقراءة الصبيان القرآن العظيم، ومسجد ابن دينة، ومباحات ضريح أبي الخير راشد مولى المولى إدريس الأكبر، ومسجد السيدة يط، ومسجد ابن حِيش، ومسجد السوق، وإصلاح مقصورة مسدد خيبر، وتجديد المسجد الجامع به والزيادة فيه زيادة مهمة وترصيف أرضه بالزليج وإعادة بناء منارته من أساسها، وتأسيس مكتب نظارة الأحباس، وإنشاء سقاية عمومية أسفله بالسوق الداخلي، وإصلاح مجاري عين شانش، وإصلاح مجاري ماء الضريح الراشدي المذكور، وتأسيس مكتب البريد، وبناء ميضأة للمسجد اليزيدي وحفر بير بها، وإصلاح الحمامات، وتوسعة فندق ببيع الخضر الطرية وإعادة بنائه من جديد، وتجديد مسجد مدشر بني مرعاز، ومسجد مدشر بني جناد، ومسجد مدشر بني حمراوة، وضريح السيد الأمين، ومسجد مدشر بني عمار، وضريح السيد العابد بالمدشر المذكور، ومسجد مدشر أولاد يوسف، ومسجد مدشر الخنادق، ومسجد مدشر العامة، ومسجد مدشر تالغزا، وتجديد مسجد مدشر بومندراة،

ومسجد القصبة بمدشر بني راشد، ومسجد مدشر كرمت إلى غير هذا وهو كثير.

آثاره أطال الله بقاءه برباط الفتح ونواحيه

منها بناء جامع سيدي الغندور يمين الداخل من باب الأحد وإحداث الجمعة فيه، وتأسيس جامع القرية الحبسية بباب تامسنا ومكتب لتعليم القرآن بقربه، وحمام هنالك على أبدع منوال وأحسن طرز، وإنشاء المكتبة الوطنية إزاء الجامع الكبير، وتجديد ما يحتاج إلى التجديد من مراحيض المساجد والجوامع الحبسية تجديدا ملائما للطرز العصري وإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح من ذلك، وإصلاح وترميم مسجد لُبيرة الواقع بالعلو وبناء منارته.

وترميم جامع السنة الأفخم الأثري الضخم البناء، الرحب الفناء، وإصلاحه إصلاحا متقنا وتفريشه برفيع الحصر وإنارته بالأضواء الكهربائية وإعادة ترتيب الوظائف الدينية فيه بعد أن لعبت به أيدي الإهمال أدوارًا كاد أن يصبح بها ذلك الأثر البديع الفذ في خبر كان، وكان ذلك بعد أن صلى فيه صاحب الترجمة سلطاننا المحبوب المفدى أدام الله تأييده ونصره أول جمعة عقب عيد الفطر من سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وألف وشاهد بعينه -لاحظته السعادة- ما لقيه ذلك المسجد العظيم الذي هو من أجل وأجمل آثار جده سميه أبي عبد الله السلطان الأعظم سيدي محمد بن عبد الله مجدد فخر الدولة ومحيي مجدها ومنتشلها من قِدر هاوية الهوان بعد العزة والمنعة.

ومنها تجديد مسجد دنية، ومسجد مرينو والمكتب الذي فوقه وجعل مطهرة تحته، ومسجد بلامينو ومسجد الزناقي، ومسجد قورية[1] ومسجد حومة الجزاء، وتوسعة مرافق مسجد أهل فاس الذي تؤدي فيه الجلالة المولوية فريضة الجمعة وإنشاء ميضأة به خاصة زيادة على الميضأة العمومية وإنشاء مسجد للنساء به أيضا وتسقيف صحنه

---

(١) بقاف مضمومة فواو ساكنة بعدها راء ساكنة فياء مفتوحة ثم تاء.

بحيث يقي المصلين فيه من الشمس والمطر ولا يمنع الضوء أن ينفذ للداخل بما جعل فيه من النوافذ الزجاجية، وإنشاء أربع خزائن ببلاطه الأول وملؤها بالمصاحف الكريمة المحبسة من جنابه العالي للتلاوة جماعة، وبناء مسجد للنساء إزاء جامع السلطان أبي الربيع سليمان، وترميم قنطرة وادي أبي رقراق التي تمر عليها السيارات وتداركها بالإصلاح بعد أن أنشب الخراب فيها أظفاره، وبناء قنطرة أخرى عليه للمارة على الأرجل والدواب والدرجات، وبناءُ مشور القصر الملوكي على أبدع طرز وأحدث اختراع أنيق، وتأسيس القصر البديع الخاص بسمو ولي عهده سمي جده مولاي الحسن إزاء قصر جلالته الكريمة وعين له من يقوم بتربيته وتهذيبه وتأديبه وتلقينه الدروس العربية والأفرنسية كما يلزم وفي هذا القصر البهي الباهر قلت:

قصر تقاصرت القصور الفاخرة ... عن أن تنال جلاله ومفاخره

أو أن يكون لها بديع جماله ... لو أنها زهر اؤهم أو زاهره

أزرى بمن سبقوا فأين لفارس ... أو للنجاشي مثله وأكاسره

ولما تم بناء هذا القصر في شوال عام ١٣٥٣، أقام به سيدنا المؤيد ختم دروسه الحديثية بحضور علماء العدوتين وولاتها ووجهائها والوزراء وكتاب البلاط واستدعى حملة القرآن وصغار طلبة المدارس العصرية وقرر أبد الله نصره زيارة أولئك التلاميذ لفلذة كبده وثمرة فؤاده كل يوم خميس لتناول المبردات والحلويات مع سموه في قصره لتمتين روابط الألفة واستحكام الود مع أبناء الرعية ونزع عرق الكبرياء والإعجاب بالنفس وهد سد العزلة الذي تحيز إليه كثير من أبناء الملوك.

ومنها بناء الأروى المعد لربط الجياد الصافنات المختصة بالجلالة السلطانية وذلك على النسق الحديث؛ جعل لكل فرس اصطبلا خاصا به، وتأسيس محل خاص لعلف شياه تموين القصر، والبناية الضخمة المعدة لحفظ السيارات الملوكية، وآلات التنوير الكهربائي الخاصة بإنارة القصور السلطانية ومضافاتها، والدور المعدة لسكنى

القيمين بمباشرة الاشغال الراجعة لذلك، وإزالة ما كان بالفسيح أمام القصور المولوية العامرة من الأخصاص والأعشاش وتسوية أرض ذلك البسيط وتنظيفه وتحجيره على الدخلاء.

ومن آثار جلالته التي خلدت في صفحات تاريخهات ذكرا جميلا بأحرف ذهبية بارزة حضور جنابه العالي لسماع تلاوة القرآن الكريم من أفواه التالين له جماعة كل جمعة ومشاركته لهم في التلاوة بعدة مساجد بالرباط وغيره.

وزيارة جلالته لملجأ اليتامى بعاصمته الرباطية وتنازل جنابه الأعلى لبحث دفاتره وضوابطه بكل دقة وإمعان وسؤاله المكلف عن ميزانية السنة المنصرمة داخلا وخارجا، وبعد اطلاعه على ذلك وإحاطة علمه الشريف بتفاصيله وجد مدركا على الداخل نحو ٨٢٥١٤٠٢٥ فبحث دام علاه عن المدرك المذكور هل أدى أم لا؟ فأجيب بأنه أُدي فقال: من أين؟ فأجاب الرئيس قائلا: من الاحتياطي المدخر ولاحظ -قارنت جلالته السعادة- أن ميزانية سنة ١٩٣٤ والميزان التقديري لسنة ٣٥ لم يصله، فأجاب الرئيس بأنه سيقدم لجلالته ولم يهمل زاد الله في حسه ومعناه غرفة من الغرف ولا مستودعا هناك حتى المطبخة وما يطبخ وخزين التموين وتبرع أعزه الله بفرنك ٥٠٠٠ وبعد وصوله للقصر العامر أمر الرئيس بتوجيه الخياطين لتفصيل الكسي: لليتامى ٧٥ وللمستخدمين ١٠ وصرح أعزه الله بأنه راقه ما شاهد من حسن النظام، وسر بذلك للغاية وأنه لم يكن في ظنه أن الملجأ على الهيئة التي شاهدها عليها وأثنت جلالته على المقيمين وشكرتهم على ما قاموا به من الخدمات الجلى وواعد همه بزيارة جنابه العالي للملجأ كل عام.

ثم أرسل ولي عهده بعد ذلك لزيارتهم وتوزيع الكسي عليهم ونذر نصره الله ذلك لله كل عام.

ومن أسماها وأسناها جلب الماء من الفوارات إلى العدوتين الرباط وسلا وإجراؤه إلى ثغر الدار البيضاء منهما.

وتأسيس المجاز الضخم على وادي بهت بقبيلة زمور الشلح الممرور عليه للرباط نما وراءه للآتي من فاس ومكناس وما وراءهما.

وإنشاء سوق بيع الخضر البديع الشكل بالقنيطرة، وتجديد مسجدها الجامع والزيادة فيه.

وإنشاء مسجد قرية الرماني من قبيلة زعير ومنارة به وجعله مسجدًا جامعا تقام فيه الجمعة.

وتأسيس المسجد الجامع بالخميسات من قبيلة زمور الشلح ومنارته والمكتب القرآني بإزائه وتحبيس أربعين مصحفًا على المسجد هنالك.

ومنها تأسيس جمعية الكشافة وتنازل جلالته لجعل ولي عهده رئيسا شرفيا عليها وقبوله تسميتها باسمه الحسن إجابة لطلب فرقة الكشافة وإسعافا لرغبتها وتحبيذا لفعلها وتشجيعا لها، وإليكم نص الكتاب الوزيري الصادر عن الأمر العالي في الأذن بذلك:

«محبنا الأعز الأرضى رئيس جمعية الاتحاد الرياضي بالرباط وسلا السيد أحمد ابن غريط أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد؛ وصل كتابك رافعا لمولانا أعزه الله ما طلبته فرقة الكشافة من الإنعام عليها بتعيين نجله البار مولاي الحسن رئيسا شرفيا لها وتسميتها بالفرقة الحسنية تيامنا باسمه الميمون وبعد إنهاء ذلك لمولانا أعزه الله أنعم على الجمعة المذكورة باندراجها تحت رياسة نجله البار شرفا كما أنعم عليها بتسميتها الفرقة الحسنية راجيا لأفرادها النجاح والتوفيق وعلى المحبة والسلام في ٣ رمضان عام ١٣٥٢: محمد المقري».

آثاره لازال رافلا في حلل السعادة بسلا

منها بناء ملجأ للفقراء والعجزة من الذكور والإناث بضريح الشيخ أحمد بن عاشر وتخصيص كل بمحل لا يشاكره فيه من لا يلائمه شرعا، ومدرسة أبناء الأعيان، ومدرسة للإسرائيليين، والمدرسة العربية الفرنسية، وإصلاح المدرسة العنانية، وترصيف طرقات البلد، والمجاز الخشبي المنشأ على وادي أبي رقراق، وإصلاح القنطرة الكبرى التي على الوادي المذكور، وتجديد وإصلاح كل أو جل مساجد البلد وميضاتها، وتوسيع الشوارع، وغير ذلك.

آثاره أسمى الله قدره بوازان

منها إصلاح مسجد عين بوفارس وجعله مسجدًا جامعا تقام فيه الجمعة، وإنشاء سقايات للسبيل ببعض حومات المدينة وأزقتها وبالسويقة، وإجراء الماء بها من بير أولاد ريان، وغرس الساحة الواقعة بحومة الرويضة بأشجار الزيتون.

آثاره بطنجة زاده الله عزا وتأييدا

منها المدرسة الصناعية المنشأة بدار البارود حيث الحصن القديم من أرض عقبة مرشان وإصلاح مسجد مرشان وصيانة براحه بحلقة تقيه من الأمطار التي كانت تصيب المصلين وتصل أحيانا إلى المحراب، وزيادة بلاطات بمسجد أبي عبيد بالسوق البراني (الخارجي) وزيادة بلاط بمسجد الجامع الجديد، وإصلاح مسجد مدشر الشرف وبناء مأذنته الجديدة، وإصلاح مسجد مدشر الخرب وبناء منارته أيضا، وإنارة مساجد المدينة كلها بالضوء الكهربائي، وإصلاح كنف المسجد الأعظم على الطرز الحديث، وإحداث كنُف بإزاء الجامع الجديد، وإصلاح وترميم القصر السلطاني بالقصبة، وتأسيس نقطة الحليب لأيتام المسلمين والإسرائيليين من رعيته، وإنشاء مدرسة ثانوية ومدرسة ابتدائية ببرج القصبة المعروف ببرج النعام، وتأسيس

محل لمزاولة الأشغال الراجعة للبريد المخزني على أحدث طرز، ومحل لوقوف قطار طنجة فاس واستقبال القادمين فيه واستراحة المسافرين الذاهبين والمودعين لهم، ومستودعات لحفظ السلع الصادرة والواردة وحوائج الركاب المسافرين.

آثاره بالصويرة ونواحيها دام له الفتح والظفر

منها إصلاح مسجد مسجينة والزيادة في توسعته وترصيع أرضه بالزليج البديع، وبناء مكتب لتعليم الصبيان بإزائه وبيت للمؤذنين، وإصلاح مسجد الرحالة وتجديد سقفه والزيادة في توسعته زيادة تقدر بنحو الثلث، وإنشاء منارة به للأذان في الأوقات الخمسة، وإخراج المراحيض التي كانت داخله تؤذي المتعبدين روائحها الكريهة وترصيف أرضه بالزليج، وتأسيس مكتب خاص بناظر الأحباس يزاول فيه أشغاله الحبسية على النمط العصري، وإصلاح مسجد السيد يوسف وترميم جدرانه، وإحداث طريق مسقف به يمتد من بابه إلى محل الصلاة، وتجديد ميضأته وميضأة مسجد القصبة العتيق وميضأة مسجد السوق وميضأة سيدي علي بن داود ومسجد آل اجدير ومسجد سيدي علي الكراتي ومسجد مسكينة والمسجد الأعظم.

آثاره دام سموه بتارودانت ونواحيها

منها تجديد مسجد تارودانت الجاع، ومساجد نز وقصر الخليفة السلطاني بها.

آثاره اتصلت سعادته بمراكش

منها إصلاح جامع الكتبيين ذلك الجامع الأثري العظيم الذي يمثل في هندسته حسن الذوق المغربي وبراعة الصناع المغاربة في إتقان الفن الجميل العربي والتفوق فيه إصلاحا يعد تجديدا رجع به ذلك المسجد الجامع لشبابه ورونقه القديم بعد البلي وعوامل الخراب، وإنشاء ثلاثة حمامات، وتجديد مسجد الشيخ أبي حربة بحارة الصورة بعد أن خرب وتعطل ما يزيد على أربعين عاما، ومسجد حومة المواسين

الجامع، ومسجد حومة أسول، وإصلاح ضريح الشيخ أبي اسحاق، ومسجد بوستة بحومة قاعة بناهش وميضأته، والمسجد الأعظم بباب ايلان، ومسجد ابن العربي به، ومسجد درب الشيخ عبد القادر بحومة ضبشي، ومسجد درب السنان بالمواسين، وجلب الماء وإجراؤه بالدور وسقايات السبيل بسائر حومات البلد، ومد القنوات للوادي المضاف بحوماته وقد كانت فيما سلف فاقد لتلك النعمة العظمى، وتأسيس حمام بالرحبة قرب جامع الفنا، وعدة ميضأت عمومية.

ومنها إنشاء مدرسة ثانوية عصرية بها سميت باسمه الميمون وكان يوم افتتاحها يوما مشهودا في ٩ محرم ١٣٥٦ وذهب بنفسه لمراكش ليرأس حفلة الافتتاح وألقى هنالك خطابا، هذا نصه:

«سعادة المقيم العام:

إذا كان كما قيل، أفضل ما يهدى كتاب، فإن أكبر دليل على اعتناء الحكومة بمدينة من المدن هو أن تشيد بها معهدا علميا، أليس العلم عند كل الأمم المتمدنة أنفس الكنوز وأفضل الذخائر، فهو منير الأذهان ومفتاح القلوب لتمكين التعاضد في بني الإنسان إذ به يتحدون في متبادل الوداد وكمال الإخلاص ليقوموا بالأعمال العظيمة الخالدة التي حلت هذا العالم الدنيوي، ولذلك يسرنا أن نقول أنا نعد من أحسن ما حصل عليه من نتائج الرقي بهذه المملكة السعيدة تقدم العلوم والمعارف، وليس هذا التصريح يا سعادة المقيم العام إلا إعراب عن كل ما تكنه أفئدتنا من الشكران للدولة الفرنسوية التي لا تزال تبذل لنا إعانتها النافعة الثمينة مساعدة لنا بذلك حتى نمتع رعايانا المخلصين بالعلم الضروري لرقيهم ورفاهيتهم، وإذا كان سرنا تعيينكم بالمغرب فما كان ذلك إلا لما نعلمه من إخلاصكم للاتحاد المغربي الفرنسوي الذي شاهدتم نشأته الأولية ونموه العجيب بعد ذلك وقد أنفقتم في خدمته أوقاتكم النفيسة، كما تنفقون الآن في سبيل مصلحته خبرتكم المفيدة الثمينة وفضل مزايا

ضميركم، فبمجرد وصولكم إلى هذه البلاد أخذتم تسافرون إلى كل النواحي المغربية لتقفوا بنفسكم على حقيقة أحوالها مؤسسين أينما حللتم ما تتوقف عليه كل جهة من الإصلاح مقدما في ذلك الأهم فالأهم، ولئن ساعدتكم الدولة الفرنسوية لكامل ثقتها بكم التي تستحقونها بما تتوقفون عليه من الأموال الضرورية، فإن المغرب الذي يتحقق كل إخلاصكم لمصلحته يدعوكم أن تعلموا في الهدوء والسكينة اللازمين لكل عمل نافع دائم، فإن الأعمال العظمى لا تؤسس إلا في هادئ الأمن ووطيد النظام اللذين لا نزال نحافظ عليهما في مطمئن الاعتدال وقوي الثبات، ولقد وضعنا يدنا الشريفة بكل صدق وإخلاص في يد ممثل الدولة الفرنسوية الهمام مقتدين بوالدنا المقدس، وليس ما حصلنا عليه من النتائج العجيبة في هذه المملكة الشريفة إلا نتائج جهودنا المتحدة في صادق الثقة والإخلاص في المشاركة، وبما أننا على يقين بأن هذه السبيل توصلنا إلى نتائج عظيمة إن اتبعناها بإخلاص فإننا نواصل أعمالنا متدريجن بقوة هذه المبادئ، ولقد برهنا لرعايانا المخلصين بدلائل عديدة على أننا لا نألوا جهدا في سبيل تحسين أحوالهم من كل الحيثيات، وليس هذا المعهد الذي نفتحه اليوم إلا برهانا جديدا على عظيم اعتنائنا بالسعي الحثيث وراء سعادتهم ورفاهيتهم، وإليكم يا أبناءنا الأعزاء هذه الكلمات التي نريد أن نجعلها ختاما لخطابنا:

يسرنا أن تدخلوا هذا المعهد المنيف الذي نزدهي أن نضع اسمنا الشريف عليه لتحصلوا فيه على ما يصيركم رجالا، فإن المغرب العظيم بتاريخه وبغزير ثروته ومزايا سكانه الأنجاب يعتمد عليكم ويرجو أن تكونوا رجال الغد واضعا كل آماله فيكم لتسهلوا له رقيه إلى مداه حتى يحصل على ما نريده له من السعادة، واعلموا أنكم لا تستحقون ما يبذله والدكم وسلطانكم والدولة الحامية من الجهود إلا إذا اجتهدتم قوي الاجتهاد وراء التحصيل على المعلومات النافعة والتربية المهذبة الصالحة، فإن اعتناء أولي الأمر بكم قد مكنكم من معاهد متقنة كهذا، ومن كتب تجدون فيها ثمرات

العلوم ونتاج العقل البشري، ومن مدرسين أفعمت قلوبهم بمحبتكم وكامل الاعتناء بشئونكم، فيتعين عليكم أن تغنموا كل ما لديكم من العلوم العصرية وقواعد النظام التي أتت بها هنا فرنسا العظمى، وكل ذلك التراث الثمين الذي خلفه لنا سلفنا المقدس الطاهر من العلوم الدينية والتقاليد التهذيبية ليمكنكم أن تقوموا حق القيام بما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احرث لدنياك كأنك تعيش أبدا، ولآخرتك كأنك تموت غدا».

آثاره أدام الله علاه بسطات

منها بناء مسجد القصبة الجامع الكبير والزيادة فيه وتبديل محرابه ومستودع منبره وإنشاء تحسينات لائقة به، وإصلاح مسجد العين وإنشاء نظارة فوقه، وإصلاح ضريح السيد الغنيمي.

آثاره نصره الله بالدار البيضاء

منها الجامع الأعظم المنسوب للجلالة الكريمة المسمى بـ«جامع بن يوسف» الذي وقع الاحتفال بالشروع في بنائه يوم السبت سابع وعشري ربيع النبوي عام ثلاثة وخمسين وثلاثمائة وألف موافق متم يونيه سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألفٍ، وكانت الجلالة المحمدية هي التي تولت وضع حجره الأساسي بيمناها الكريمة في جدار المحراب الذي عين موضعه صديقنا العلامة المحرر حامل لواء فن التوقيت في عصره المرجوع إليه فيه سيدي محمد بن محمد الشريف العلمي أحد شيوخ العلم الفخار بجامع القرويين المعمور، وكان يوم الاحتفال بوضع الحجر الأساسي يوما مشهودا لم يعهد له نظير حضره رؤساء الدولة وأعيانها الذين حضروا من جميع أنحاء المملكة لتوديع الجناب العالي عند سفره لفرنسا بعد التأسيس، ولما كانت العاشرة وثلاثون دقيقة من صبيحة اليوم المذكور اجتمعت الوفود الوافدة لحضور ذلك المشهد العظيم بالبقعة المعينة لاختطاط المسجد الجامع بها التي تحتوي مساحتها على ثلاثة آلاف

وثمانمائة وواحد وعشرين ميترا مربعة لاستقبال الجلالة المحمدية وبعد أدائهم لجلالتها التحية الملوكية زرافات ووحدانا تقدم أمام جنابه العالي قاضي الثغر البيضاوي صديقنا العلامة السيد الهاشمي بن عبد الله ابن خضراء وتلا خطابا في الموضوع إليكم نصه:

«الحمد لله الذي اصطفى من شاء لرفيع الرتب، وألهمه التقرب إليه بأعظم قرب، وأثابه بنيل البغية والأرب، والإجابة إلى ما سأل وطلب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق الذي حضَّ على ما يرضي الملك الحق، ورغب في بناء المساجد، ليؤدي العبادة فيها كل راكع وساجد، وعلى آله وأصحابه الأعلام الأماجد، المقتفين أثره في سائر المصادر والموارد، أما بعد فإن الله تعالى مَنَّ علينا بأن جعلنا أفضل الأمم، وجعل نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من تأخر عصره ومن تقدم، وأنزل إلينا كتابا مبينا، ورضي لنا الإسلام دينا، وجعل له قواعد وفرائض وسننا وحدودا، وأمرنا بإقامة ذلك غيبة وشهودا، ومن أعظم قواعد الصلوات الخمس التي هي منه بمنزلة الرأس، وحض الشارع المخصوص بالمقام المحمود والشفاعة، على إيقاعها بالجماعة، ورغب في بناء المساجد لأجل ذلك، قال فيما رواه الإمامان البخاري ومسلم عن عثمان رضي الله عنه أنه قال عند قول الناس فيه حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم أكثرتم علي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة». وفيما أخرجه الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من بنى لله مسجدا صغيرًا كان أو كبيرًا بنى الله له بيتا في الجنة».

وفيما أخرجه الإمام أحمد عن بشر بن حبان، قال: جاء واثلة بن الأسقع ونحن نبني مسجدا، قال: فوقف علينا فسلم، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من بنى مسجدا يصلي فيه بنى الله له في الجنة أفضل منه».

ولما كان الشارع رغب في إيقاع الجماعة والجمع في المساجد التي قال فيها مولانا جل جلاله في بيوت أذن الله أن ترفع سمت همم الملوك العظام وخصوصا أسلاف مولانا الكرام، إلى بناء المساجد لعبادة الملك العلام، وللفوز بالخلود في دار السلام، فهي مآثرة من مآثرهم، معدودة إلى الأبد من مفاخرهم، كما قيل:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان

إن البناء إذا تعاظم شأنه ... أضحى يدل على عظيم الشان

وكما قيل:

إن آثارنا تدل علينا ... فانظروا بعدنا إلى الآثار

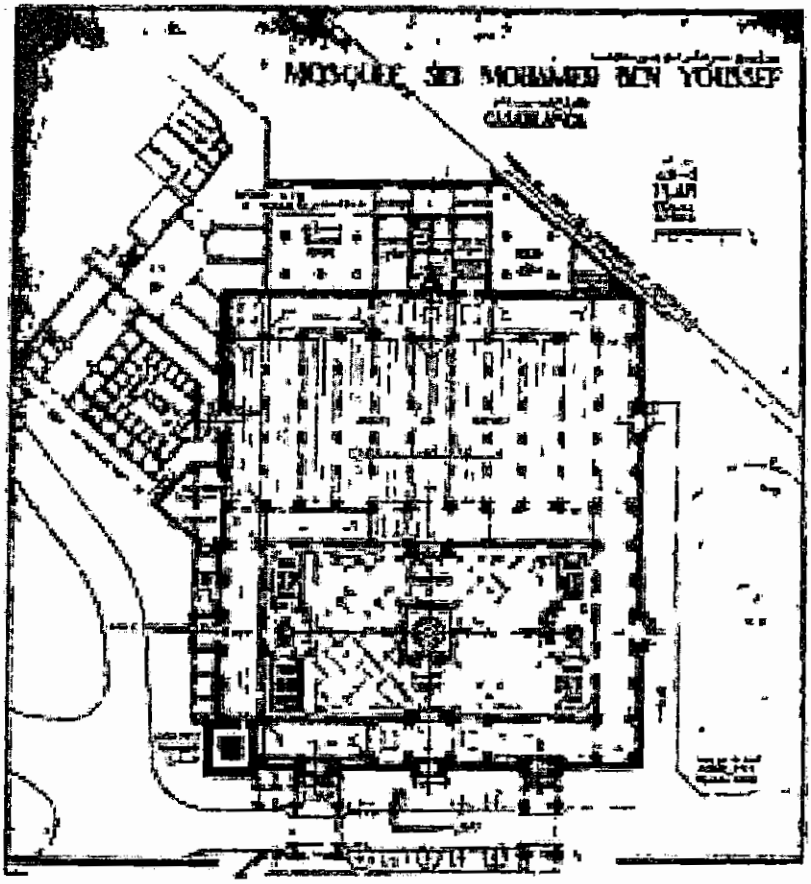

خريطة الجامع الحمدي

وقد نهج مولانا أعزه الله في ذلك نهجهم، واقتفى أثرهم، وأمر بإنشاء هذا المسجد الذي يشرع فيه الآن، في هذا المكان، ولم يكتف دامت سعادته بإصدار أوامره المطاعة المنيفة، بل أراد أن يبرهن على ذلك بوضع الحجر الأساسي بيده الشريفة، زيادة في اغتنام الأجر العظيم، والثواب الجسيم، وأننا نرفع أكف الضراعة والابتهال إلى مولانا ذي الإكرام والجلال، أن يمد مولانا الإمام، وملاذنا الهمام، بالعمر المديد، والسعد الجديد، والنصر والتمكين والتأييد، والعز المزيد، ويجعل أعماله إلى محل القبول راقية، ودولته مخلدة باقية، ويبقي شمس سعادته مشرقة الأنوار، ويكسو دولته ملابس العز والافتخار، ويحفظه في أنجاله الكرام ويحرسهم بعينه التي لا تنام، ويريه فيهم ما تطيب به النفس، ويعظم به السرور والأنس، لا سيما ولي عهده الموفق إن شاء الله لكل فعل حسن، سيدنا ومولانا الحسن، بجاه جده خير الأنام؛ عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام» هـ.

ثم تقدمت الجلالة المحمدية ووضعت الحجر الأساسي بيدها الشريفة وناهيك بها من مفخرة.

اشتمل هذا المسجد الجامع على بلاطات سبعه، وحناحين أحدهما جنوبي وثانيهما شمالي ومباح غربي، بكل بلاط أساطين سبع، وبكل جناح أساطين أربع، وبالمباح أساطين ثمان، وبالجانب الشمالي مسجد خاص بالنساء، وبإزائه المنارة سمكها ثلاثة وخمسون ميترا، وبصحن الجامع خصص (صهاريج مسديرة) إحداها في الجهة الجنوبية والثانيه في الجهة الشمالية، بنيت على كل واحدة منهما فيه ذات حنايا محمولة على أساطين أربع والخصة الثالثة بتوسطهما، ولهذا الجامع ثمانية أبواب باعتبار باب المقصورة، وبخارجه من الناحية الشمالية يوجد مرحاض ذو بيوت أربعة عشر، بكل بيت صهريج صغير من رخام لاستحاء، وبوسط صحنه ضهريج مستطيل للمتوضئين مفروش بالزليج.

ولم يزل مولانا قارنه الفتح والظفر يتعاهد بنفسه بناء هذا المعهد المرة بعد الأخرى، ويبدي للعملة ما تراه جلالته من الملاحظات الثمينة من ذلك أمره لهم بالزيادة في ارتفاع المحراب.

وكان افتتاح هذا الجامع العظيم للصلاة يوم الجمعة ٢٢ من ربيع النبوي عام ١٣٥٥ في مهرجان عظيم وحفل حفيل وأقام مولانا المؤيد به صلاة تلك الجمعة بحضور وزراء دولته والرؤساء والكتاب والقضاة والعدول والعمال وغيرهم من الوفود المختلفة المتواردة من جهات عديدة للحضور في الافتتاح، وما حان وقت الصلاة حتى كان الجامع على رحبه وسعته غاصا بالمصلين وامتلأ خارجه بالواقفين والمشاهدين ولم يتمكن بعض رجال الحاشية من الدخول إليه إلا بشق الأنفس لشدة الازدحام على الأبواب وكثرة الخلق، وخطب به صديقنا الفقيه القاضي المذكور، فلما قضيت الصلاة انتشر الناس على أن يحضروا للجامع عند المغرب، وعند صلاة المغرب حضرت الوفود العديدة وبعدها استوى الناس وشرع المنشدون الواردون من العدوتين وفاس وغيرها في الترنم بالأمداح النبوية، مخللة بالبردة والهمزية، ومولانا الإمام جالس صدر المسجد خارج مقصورته الملوكية، وصف المنشدين عن يمينه وشماله، وخلف الصف اليمين بعض الأشراف والعمال والوجهاء، وخلف الصف الشمال الوزراء والرؤساء وأعيان الشرفاء وكبار الباشوات، وجمهور الأمة يتمتع بالنظر إلى محياه الكريم، وهو حفظه الله يشارك في التلاوة والإنشاد فكانت ليلة غراء، ذات جمال وبهاء، واستمر الحال إلى الساعة الثانية عشر، ثم انصرف مولانا الإمام لقصره العامر وانفض الجمع وتوجهت الوفود الرسمية للقصر السلطاني حيث مدت الموائد وأفيض عليهم من سجال كرم مولانا المؤيد ونعمه وهو يأمر بإظهار كمال الاعتناء والمباششة للوفود وإنزال الناس منازلهم وأمر رئيس ديوانه باطلاعهم على رحاب القصر وبساتينه وإيقافهم على محاسنه والناس في سرور وحبور إلى قرب

الفجر، فعاد مولانا السلطان للجامع ورجعت الوفود إليه، وبعد إتمام الإنشاد تليت قصيدتان وقع عليهما اختيار جلالته من بين القصائد المقدمة إليه في الموضوع إحداهما لرئيس ديوانه الملوكي أولها:

زد بالهداية عزة وجلالا ... أشرق كشمس في العلا تتلالا
واحمل بيمناك العزيزة راية ... تهدينا رشدا يضمن الإقبالا

والأخرى لجامع هذه الدرر وهي:

أولاك بالنصر والتأييد مولاكا ... فتلت عزًا به تقر عيناكا
مؤيد العزم بالتوفيق في عمل ... مروح القلب في جنات نعماكا
فالفخر يرفل في أثواب سودده ... والدين يسعد ولدنيا بعلياكا
تدعو إلى الله إرثا عن أرومتكم ... أكرم بهم سادة في الناس أملاكا
حتى تطهر هذا الشعب من درن ... وذدت عنه بنشر العلم أحلاكا
وزاد ملكك أمنا تستقر به ... دعائم قاربت لولاك إهلاكا
رفعت فينا بيوت الله فابتهجت ... وأصبحت بجميل الذكر تلقاكا
أعظم بها من بيوت للهدى رفعت ... يفوق منظرها زهرًا وأفلاكا
تخالها كقصور الخُلد يعمرها ... من دق غدوا بين يدي الله نساكا
هم الجواهر لب الكون خالصه ... لا ما يرى نظمه في الجيد أسلاكا
كم من فطاحلة فيها اهتدوا وهدوا ... قوما قد ارتفعوا حفظا وإدراكا
وشأنهم نشر دين الله في خِلق ... بهم غدا أهلها للفضل مُلّاكا
وأصلّت باصول الدين همتهم ... عقائدا دحضت من كان أفاكا
وبالتفاسير كم أبدت لنا نكتا ... غراء ميسمها لا زال ضحاكا

ومن حديث رسول الله قد أخذت ... حظا جزيلا حمدنا فيه مسعاكا
والفقه نال كما ترضون أبهة ... بها تبين أن الحق مرماكا
هذا هو الفخر لا الزهراء زاهرة ... أو حلة دبجتها كف من حاكا[1]
قد قمت ترعى الرعايا بالصلاح فما ... فيها لعمر الهدى من ليس يهواكا
جمعت شملهم من بعد فرقتهم ... كجمع أصناف خير في زواياكا
يآخذًا بعرى التقوى تبارك من ... أنشا على شغف بها سجاياكا
سُدت الملوك وشدت كل مفخرة ... واليسر صافاك والتيسير وافاكا
سُست البلاد وأسست التآلف في ... شعب العروبة فاعتزت رعاياكا
مولاي عزمكم فوق الطباق رسا ... سبحان من فوق هام المجد ضاهاكا
ألبست نخوة ملك أنت بهجته ... حسن التواضع حتى جل معناكا
ملكت لب رعايا أنت بينهم ... كالبدر في هالة والكل يرعاكا
سجت يا تاج أملاك الزمان لهم ... برود عز فمن لنسجها حاكا[2]
وكم أبدت بسيف العدل من بدع ... ومن قصمت جهولا كان فتاكا
وكم وكم من معاهد أعاد لها ... شبابها الغض قسطٌ من عطاياكا
هيهات أين بنو مروان منك وما ... أشيد في جلق من حسن مبناكا
كل تسامي لدنيا كان يعشقها ... وأنت صيرت دين الله مغزاكا
كفاك ما شدت فينا من معاهد قد ... رضيت من أجلها إنفاق دنياك
كم من موارد قد أصدرتها فرحا ... ترضي بها من لفعل البر أنشاكا
ناهيك بـ(المسجد الأبهى) الذي عظمت ... آثاره الغر في أرجاء (بيضاكا)

---

(١) سح.
(٢) شابه.

أعظم به شاهدا عدلا على همم ... قعساء في ظاهر وفي طواياكا

يضم كل بديع وهو أبدع ما ... يرى بإحسانك الضافي وحسناكا

الحسن بعض صفات في مشاهده ... وأينما شمته بالبشر حياكا

ترتاح أفئدة العُباد إن غشيت ... رحابه وترى مغناه مغناكا

بل كل راء يناديه على شغف ... لله لله ما أعلى وأحلاكا

ما شدت من شاهق البنيان دل على ... معنى يجدد طول الدهر ذكراكا

تنافست به أرباب الصنائع إذ ... أنلتهم من صنيع الفضل جدواكا

تخال فيه بديع النقش متسقا ... وشي الخرائد قد تاقت للقياكا

(أبوابه) عد أبواب الجنان غدت ... مفتوحة من يلجُها عُدّ نساكا

وصبغُه غنجٌ يزينه حور ... كطرف حوراء مدت منه أشراكا

تحكي الثريا (ثرياه) التي بهرت ... زهر الكواكب إذ ضاءت بمرءاكا

كأنها عند أسراج وقد لمعت ... نور البشائر تبديه ثناياكا

يغني محياه أبقى الله بهجته ... وصان مهجتك الغرا وقواكا

إلى (ينابيع) عذب فاض منبجسا ... لكن عذوبته تجري بمجراكا

خريره في مجاري السمع ساجعة ... نشيدها: سيدي الله يرعاكا

أكملت من مسجد البيضاء حصته ... لما يمينك قد أولته يسراكا

ملأت مولاي بالذكر الحكيم به ... (خزائنا) سجلت بها هداياكا

ملكت أجرا به أنفردت متنفعا ... بأجر قرائه في دار أخراكا

هاذي الصنائع قد أحييت دارسها ... فشكرها العاطر الفواح يغشاكا

لعصرك الفخر في علم وفي عمل ... فالمبتدي صار بالتفكير دراكا

قد استنارت بك الأفكار فهي لها ... شأو التقدم إذ ترتقى بمرقاكا

إذ كان رأيك في فيض المعارف من ... تيار نيل به عمت مزاياكا
فصار أغبط شخص في الوجود فتى ... بالعلم زاحم عند العرش أملاكا
وأقبلت دولة الأفراح منشدة ... أدام ربي لأهل الغرب محياكا
فانهض بنا لعهود الأنس منك ففي ... أسنى مقاماته الغرا عرفناكا
داعي السعادة قد حث المطي إلى ... مغنىً بخدمته ما كان أغناكا
يا سعد زائره وفوز حاضره ... بطيب خاطره إذ هو لباكا
أكرم بـ(ليلتك) الزهراء تعمرها ... بمدح من نوره يعلو محياكا
محمد جدك المختار أفضل من ... به الاله هدى وهدَّ إشراكا
فاطرب وطب واغتنم ملكا تسربه ... والدهر فيها تروم طوع يمناكا
قد وفق الله شعبا أنت سيده ... وليس من صنعك الجميل ينساكا
لك البرية تدعو كل آونة ... والله من بينهم بالفضل أسماكا
قد احتللت السويدا من قلوبهم ... بنصر دين الهدى والحق والاكا
وفاخر المغرب الأقصا بملككم ... ممالك المشرقين لا عدمناكا
نفديك بالنفس من شرور ذي حسد ... فأسعد الله من بالنفس فداكا
وحاط أنجالك الغر الكرام بما ... قد حاط ذكر حكيما حل أحشاكا
وهيأ الخير والفضل العظيم لهم ... فنلت في كلهم ما كان أرضاكا
ولي عهدك ميمون العلا (حسن) ... يحظى فبنحو بأفق المجد منحاكا
الشبل من أسد والبدر مقتبس ... من شمس وحسن وما ندريه الاكا
يا سيدي جاد نظم أنت باعثه ... فين عطفت عليه إذ ترجاكا
فكر (ابن زيدان) وقف في مدائحكم ... ولم يكن لمديح غيركم لاكا
فامدد عليه رضي يعلو به شرفا ... فإنه بصميم الحب صافاكا

منك الوفاء وفي وما الكمال سوى ... ما فيك من شيم الله زكاكا

قالوا أطلت فقلت بل أطبت ولا ... أعد طول مدحي فت؟ إنهاكا

قالوا تغاليت قلت لا أبالهم ... من بالمديح وفرض شعر وفاكا

أبقاك ربك في ظل الأمان على ... عرش الخلافة والأمناح تعطاكا

وأنت في فرح تزهو وفي مرح ... مظفر فوق هام العزا مثواكا

ما استعذب الناس إنشاداً بمطلعه ... أولاك بالنصر والتأييد مولاكا

حائط ميداني أمر ببنائه يوسف بالقرب الساحة سابقة الذكر

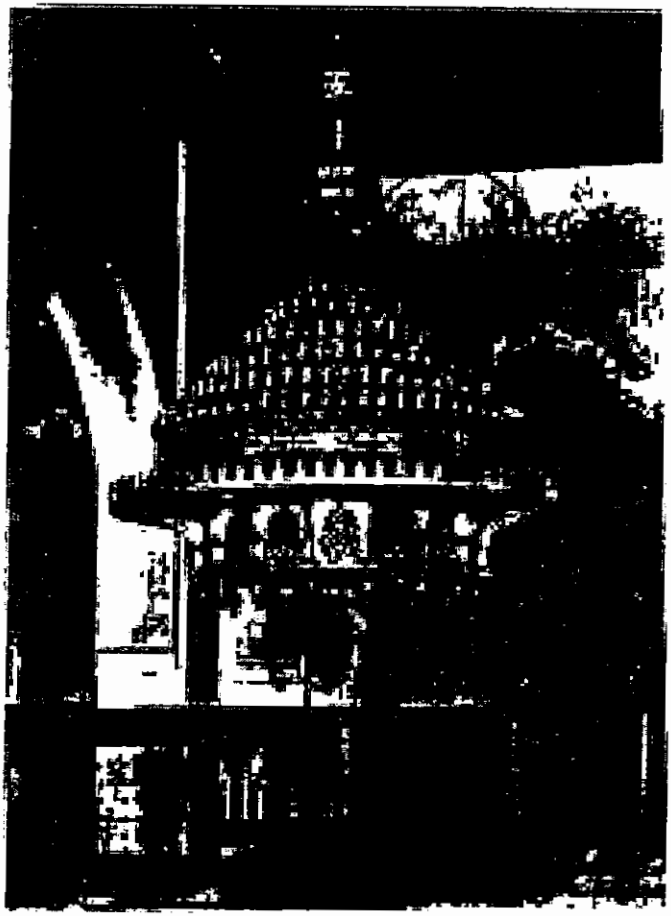

القرميد المعشق
بجامع سيدي محمد بن يوسف
بالدار البيضاء المشار إليها في القصيدة صحيفة ٢١٠ ،
ويبدو بعرفه القسم الأيمن ٢-٢

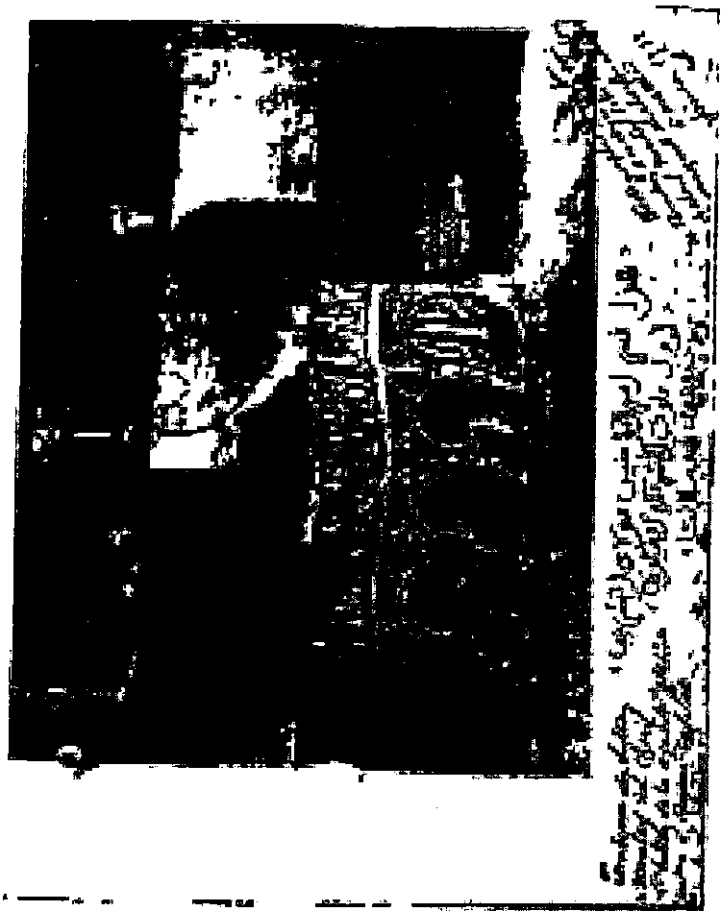

١١٤ جرح الملك فيصل على يد ضابط

ومن آثاره بها أيضا إدخال عين الفوارات المشار له قبل وإجراؤه بالأزقة والدور وغير ذلك.

ومنها إدخال الماء للجامع اليوسفي، وإصلاح جامع الشلوح وكنفه وإصلاح ضوئه الكهربائي، وإصلاح جامع ولد الحمراء والزيادة فيه وإصلاح كنفه، وإصلاح جامع الصومعة المكرجة، وإصلاح ضريح السيد مبارك، وإنشاء رخامات ظلية لضبط معرفة الأوقات بالمساجد، وإنشاء مستودعات لحفظ المصاحف القرآنية، وتأسيس حمام القرية الحبسية البديع الشكل الذي لم يسبق لها نظير وإدخال الماء إليه والضوء الكهربائي، وإصلاح حمام دار المخزن وتجديد ما احتيج إلى التجديد منه، وإصلاح حمام باب مراكش وإجراء الماء إليه، وإصلاح ميضأة الجامع الكبير إصلاحًا متقنا على النمط الحديث، وإصلاح ميضأة جامع السوق، وإصلاح مجاري ماء ميضأة جامع القرية الحبسية، وإنشاء عدة سقايات للسبيل بها، وإنشاء كنف بقسم ١٢ منها وآخر بسوق البز منها وغير ذلك مما هو كثير.

ومنها الزيادة ذات البال والأهمية الكبرى التي زادها دام علاه بقصره العامر الفاخر بذلك الثغر الذي ازدهى به وازدهر وتأسيس مسجد أنيق به للصلوات الخمس.

ومنها تأسيس النادي الفرنسي المغربي الجم الفائدة العظيم الجدوى للعنصرين المغرب والفرنسي ولو لم يكن من فوائده إلا تبادل الأفكار والتآلف والتعارف، الكفيلان بإبادة التنافر والتخالف، اللذين وسعا مجالا عظيما لكل حلاف مهين هماز مشاء بنميم اتخذ قلب الحقائق واختلاق الكذب وإفساد ذات البين أعظم متجر لكان كافيا إذ لا راحة ولا أمن ولا اطمئنان ولا ثقة لأحد العنصرين بالآخر إذا كان كل يحذر الآخر ويظن به الظنون ويصحبه على دخل وكيف يطيب العيش ويعمل الإنسان

بارتياح ونشاط والحالة ما ذكر، وشياطين الأنس أخزاهم الله قائمون على ساق.

آثاره بازمور كان الله له عونا وظهيرا

منها إصلاح مسجد الزيتونة، والمسجد الأكبر، ومسجد الفصية، ومسجد الخديم.

آثاره زين الله بالمحاسن عصره بأسفي

منها إصلاح الجامع الكبير بها إصلاحًا متقنًا و في توسعته وترصيف أرضه وصحنه بالرخام وإصلاح وتخطيط محرابه وتعديله إلى سمت القبلة على كان من قديم منصوبا إلى خطب وسط الجنوب خارجًا عن جهة القبلة بنحو خمسين درجة وكان الناس يضطرون للانحراف عنه وإلا بطلت صلاتهم بطلان صلاة المستدبر، وكان الجاهلون من العامة بأمر القبلة والوافدون من جهات أخرى يصلون إليه جهلا بأمره وتختل تسوية الصفوف فيه وقد أقيمت به بعد التحويل صلاة عيد الفطر سنة ١٣٥٥ والجمعة بعده وإن كان العمل فيه لم يتم إلا في ذي الحجة.

آثاره أيده الله بابن سليمان

منها بناء حمام وبناء مسجد جامع من أساسه ومدرسة للطلبة وحفر بير وإجراء الماء منه إلى الحمام وإنشاء فرن.

آثاره أعلى الله أوامره بقصبة ابن أحمد

من أفخرها وأعظمها نفعا تأسيس ملجأ للعجزة والبؤساء يضمن راحتهم.

آثاره رفع الله به منار الإسلام بتافيلالت

منها إصلاح ضريح جده الأعلى مولانا علي الشريف، وترميم ما كان اندثر من قصر الريصاني.

هذا ولو تتبعنا باستقراء ما لسلطاننا المحبوب من المآثر، وما أسس وجدد وأصلح

في دولته الشريفة من المعاهد الدينية، والمدارس العلمية، وأسس وأصلح وجدد من العقار لتنمية مداخيل الأحباس بسائر الأيالة السلطانية، وما أجرى من الإصلاحات وتذليل الصعاب، وتعبيد الطرقات، وتقريب المواصلات، وجلب المنافع للرعية، والسعي وراء تنمية التجارة، لجاء ذلك في مجلدات.

ومن أعلى أثاره الأثيرة وأثمنها وأغلاها نرفع جنابه لعالي ترفعا طاهرا عما كان يقدمه ولاة الأيالة بين يدي نجواهم للملوك في الاقتبالات العيدية، برسم الهدية، حيث تحقق لدا جنابه العالي ما خالط ذلك في الأعصر المتأخرة مما أخرجه عما كان يراده به من المقاصد الحسنة والصبغة المرعية الداعية لتقديمه في عهد أسلاف جلالة مولانا المقدسين وأنه أصبح سبيلا موصلًا لسلب أموال ضعاف الأيالة وأراملها وأيتامها وأكلها بالظلم والباطل فأصدر أمره الأعلى البات بإبطال تلك العادة إبطالا كليا وكف الأكف العادية عما كانت تجبيه باسم الهدية السلطانية وتدخله في جيوبها بطريق الغصب.

ومنها أنه لم أمسكت السماء مدرارها وخيف من تضرر الزرع والضرع وتكرر خروج الناس للدعاء والتضرع والاستغفار والصدقة أصدر أمره السامي لسائر قضاة الأيالة بإحياء سنة صلاة الاستسقاء وقد كانت أميتت منذ نيف وسبعين سنة فصليت أولا بالرباط ضحى يوم الخميس سابع محرم فاتح عام ١٣٥٤ موافق ١١ إبريل سنة ١٩٣٥، وبسلا يوم السبت ٩ منه، وبفاس يوم الأحد ١٠ منه ثم أُعيدت به يوم الثلاثاء ١٢ ثم أُعيدت يوم الخميس ١٤، وصليت بالدار البيضاء يوم الإثنين ١١ وصليت بمكناس يوم الثلاثاء ١٩، وأُعيدت بفاس يوم الأربعاء ٢٠.

ومنها دخول بقية القبائل العاتية العاصية في طاعته، واستتباب الأمن فيها استتبابا بلغ حد نهايته، بحيث لم يبق هنالك من يوسم بوسم الخروج عن ولايته.

وإحياء الدارس من المدارس، وتأسيس الجمعيات الخيرية في سائر الأيالة المغربية، وتأسيس جمعية النشر والترجمة أرشدها الله للعمل وإدخال الباكلوريا في المدارس الثانوية، وتأسيس جمعية الوكلاء الإسلاميين بالمحاكم الشرعية.

ومنها تنفيذ إعانة مالية مشاهرة لمن حصل على الباكلوريا بالمدارس الثانوية من رعيته ورام الرحلة لباريس لتلقي العلوم الاختصاصية كالطب والهندسة والفلاحة وما إلى ذلك.

ومنها بل التي تعد فاتحة مزايا مولانا الممتازة توجهه كل عام لعواصمه الثلاث مراكش وفاس ومكناس وزيارة مدارسها ومستشفياتها وملاجئها الخيرية وصلة فقرائها، ومخابرة خبرائها وكبرائها، فيما ينمي تجارتهم، ويحسن حالتهم، ويضمن زهرة مستقبل بلادهم.

ومنها قيامه بجولة استطلاعية في ناحية كل عاصمة يحل بها من العواصم المذكورة لتفقد شئون الرعية ويرى بعينه أحوال الأيالة لم يدع خلال تلك الجولة موطنا يهم الوقوف عليه والالتفات إليه في سهلها وجبلها إلا أعاره حظا وبحثه باهتمام وسأل عما زاد فيه وما نقص، وذلك أسطع برهان على ما لمولانا من أصالة الرأي وعظيم التأثير، الناشئ عن شدة الحلم وكبير العطف وشديد التنازل لا ينبئك مثل خبير.

ولما ظهر منه أيده الله ما ظهر من التيقظ في الأمور والاهتمام بأمر الرعية والاعتناء بشئونها ومصالحها والحدب عليها وتجلي منه ذلك في أمور كثيرة قامت الأمة المغربية مطالبة باتخاذ ذكرى ليوم جلوسه على عرش المغرب تكون سنوية تعبر فيها عما تكنه من عواطفها النبيلة نحو عرشه المجيد وشخصه المحبوب فصدر الأمر باتخاذه عيدًا رسميا، بعد أن كان مطلبا شعبيا، وتأسست بذلك ذكرى جلوس جلالته المحمدية على العرش الذي اهتزت له الأرض وربت وتبارت في الاحتفاء والاحتفال به طبقات

سائر الأيالة الشريفة وتفنن الشعراء والكتاب في وصفه وأفيضت فيه سجال العطايا على الضعفاء والبؤساء وأظهرت الأمة الكريمة المغربية، ما تكنه من الإخلاص والولاء لهذه الدولة العلية، وكنت ممن أدلى بدلوه مع الدلاء في تهنئة ومديح صاحب الجلالة والتاج، ونور المغارب الوهاج، فقلت:

مولاي!

أعزك الله وأدام علاك، وأنار مضي؟ نوره- :

في مثل هذا اليوم المبارك وهو الثامن عشر من شهر موافق ثالث وعشري جمادى الأولى سنة ست وأربعين وثلاثمائة وألف أي منذ سبع سنوات استلفت الدهر حادث ملأ الكون مهابة، والنفوس إخباتا وإنابة، وسلك بالأمة المغربية صوب الصواب، فأحسنت عنه السؤال والجواب، ونالت بتتويج ملكها المحبوب حسن الثواب، فلقد أثابها بنشر المعارف، وبذل المعارف، حتى اجتنت ألذ المقاطف، وجمعت إلى تالد مجدها المجد الطارف، ولبست من ملابس عصره الزاهي أجمل المطارف:

عصر به تزهى المعارف والعلا ... وتتيه ناشئة البلاد وتسعد

وتجر أذيال الفخار كأنها ... في عين مبصرها الحسان الخرد

في مثل هذا اليوم جلس ملكنا المحبوب على عرش الخلافة، ولم ترض الأمة للجلوس عليه خلافه، لما امتاز به من المزايا الممتازة، والمميزات التي هي بمجاز الحقيقة مجتازه.

لله يوم أعظمت منه الدنا ... قدرًا فذكره عندها يتجدد

يوم تجلى عن خلال خلاله ... سعد به ترقى البلاد وتصعد

يوم علم الأمة المغربية كيف تقيم الذكرى، وترفع لشعبها بين الشعوب الراقية ذكرى، يوم أفاض على المغرب أنواره وأنواءه، وجمع أشتاته ووحد أهواءه، فوجب

تخليد ذكراه، وتجديد عيد بشراه:

يـــوم لـــه في قلـــب وامقـــه هنـــا ... ويقلـــب مبغـــضه المقـــيم المقعـــد

يـــوم بـــه البـــشرى تجـــلى بـــشرها ... مترقرقـــا يمـــلي الحيـــاة فينجـــد

يوم كان مظهره مبعث الإصلاح العام، فأحز به أن يحتفل بذكراه في كل عام، وتمد فيه موائد الإخلاص قبل موائد الطعام:

يـــوم بـــه الأقـــصا ســـما إصـــلاحه ... فهـــوت إليـــه مـــن الأقـــاصي القـــصد

قالـــت ســـعوده أيهـــا الغـــرب انـــتهض ... وانـــشط فإنـــك بالـــسعود معـــضد

أيها المغرب الأقصا قم على قدم وساق، وأقم ذكرى هذا اليوم في كل عام باتساق:

قـــم وانـــشر الـــذكرى ليـــوم عنايـــة ... لم تطـــو مـــا نـــشر الالاه لـــه يـــد

تـــزدد بـــذلك عـــزة ونباهـــة ... وتقـــدما ميثاقـــه متوطـــد

هذا اليوم الذي تجلى فيه الملك رافلا في حلة الشباب، وتوافرت فيه على تقدمك أيها المغرب الأسباب، وكان عيدًا عاما تهللت فيه الوجوه، وتبينت من طلعته المشرقة أنك ستنال ما ترجوه:

ذا اليـــوم يـــوم أبـــصرت بـــه أعـــين ... وجـــه الهنـــا وبـــدا الـــسبيل الأحمـــد

وغـــدا لـــواء النـــصر منـــشورًا بـــه ... إذ تـــوج المـــولى المليـــك محمـــد

هذا يوم الذي تفتحت فيه أذهان أبنائك، وتفتقت فيه قرائح نجبائك، حتى كادت أن تسيل في سبيل إرضائك على الأسل، وأنشدت عند إغضائك إن لم تصدقني فسل:

فغـــدوت روحًـــا للـــشعور تمـــدهم ... وأثـــرت رغبـــتهم فـــراق المـــشهد

وبثـــت روح الأريحيـــة بيـــنهم ... فحللـــت مـــا كـــان متكاســـل يعقـــد

هذا اليوم الذي تدفقت فيه موارد الشعور بقوتها الفياضة، على الدولة المحمدية الفتية فاختالت في حلل الزهور الفضفاضة، ثم شمرت في ميدان العمل عن الساعد،

فلقيت من قوى الطبيعة أقوى مساعد:

ومشى بها عصر التقدم مسرعا فسما بها في كل سعي مجتد
في كل أونة تزيد ترقيا وكذا الأريب من العلا يتزيد

واتجهت المملكة المحمدية اتجاها وجيها جديدا، ناحية نحو ما يحقق لها مصيرا جميلا حميدا، جالبة ما يوفر لها دواعي الرقي وأسبابه، ويفتح لها من مقفل التقدم بابه:

ويزيد أوتار الشعور تحركا فيها فتغور في العلاء وتنجد
ويجر ذيل فخاره متجاوزا نهر المجرة بالنجاح مؤدي

وكيف لا وهذا اليوم هو الذي استوى فيه سلطاننا المفدى على عرش أسلافه الأمجاد، وتسلم فيه أزمة حكم البلاد، ليسير بها إلى ضالتها المنشودة، التي تقتضيها سمعتها التاريخية المحمودة، وترتضيها مثابتها الاجتماعية، حتى يبلغ بها الوطن المحبوب مساعيه:

يوم عظيم راق وجهه إذ رقي ال عرش العظيم به الإمام المفرد
حدث بما قد شئت عن أخلاقه فحديثه الحسن الصحيح المسند

فالواجب علينا أن نحتفل بتخليد هذه الذكرى مجتمعين، ونتخذ هذا اليوم عيدًا وطنيًا ولسنا في ذلك بمبتدعين، وما اجتماعنا لذلك في الواقع إلا لسان ناطق يعبر عن عواطف الملايين نحو متبوعا في جميع المناطق، ويعرب عن تعلقهم بعرشه وسدته، وتفانيهم في طاعته ومودته، والدعاء لجلالته بازدهار عصره وطول مدته:

أبقاه من أعطاه ملكا شامخا في عزة تنكي العداة وتكمد
لم لا يردد شكره من أخلصوا وبسعيه الميمون يصفو المورد

وهل العرش الذي استوى عليه، وألقيت مقالي أمره إليه، إلا رمز لعظمتنا بين

الأمم، وتسنمنا من المجد والترقي شوامخ القمم[1]، وتشخيص لآمالنا التي بإدراكها تنجلي الغمم، وهو فوق ذلك أمانة، تشفي المحافظة عليها من الزمانة، وتقضي بالالتفاف حول حارسها الأنجد، ونكران اللذات في خدمته حيث ما أغور وأنجد:

ملك له تدعو الممالك بالذي ... هو في مصالحها الأهم الأوكد
مما يزيد التابعين تقدما ... في كل منقبة تفيد وتسعد

أيها الملك المحبوب! أنت روح الرعية، فلا حياة لنا إلا بصفاتك الجميلة المرعية، فأنت نافخ روح الحياة فينا، والكفيل بما يصلحنا ويشفينا، والباعث لما يكون شعورنا بالوجود، ويقرر حقنا في إغوار الحقيقة والنجود:

فننال ما نرجو ونحيى فوق ما ... يهوى الرقي وذك عيش رغد
لا زال جانبك المؤيد طبق ما ... يرجوه من له وص وتودد

أيتها الأمة المغربية ذات النخوة العربية، والنفوس الأبية، أنه لا بدع في قيامكم بهذا الواجب المطلوب، نحو ملككم المحبوب، فإن شأنكم إقامة المهرجانات الفخمة، والاحتفالات بالذكريات الضخمة، فكم من مواسم تقام في غربك، وتنفق عليها الملايين من جيبك، يشوهها الضالين بشدخ الرءوس، بزبر الحديد ومحدد الفئوس، وإخراج الصلاة عن الوقت، إن لم نقل بالترك الكفل لهم بالويل والمقت، واختلاط النساء بالرجال، والتجاهر بكل منكر جال، كبقر بطون الشياه، والتلطخ بالدم المسفوح والله عن ذلك ناه، يشد إليها الرحال كل عام، خواص مجانسيهم والعام، هي في الحقيقة أحط قيمة، من هذه الذكرى المنبهة المقيمة، أن هذه الذكرى لمرءاة صقيلة يتجلى فيها ما قام به في ترقيك مولانا الإمام، وما بذله من نفس ونفيس في سبيل إصلاحك العام، وهنالك تستعرض أمامك إصلاحاته الجمة، التي أدخلها في أقرب

---

(١) القمة بالكسر أعلى الرأس وكل نبيء.

وقت على هذه الأمة، ولو لم يكن منها إلا سعيه في نشر المعارف الراقية التي هي من سقطات الجهل والتأخر واقية، لكفى ذلك دليلا على اهتمامه بترقيتك، وتحسين تربيتك، وتثبيت مركزك وإعلائه، وتسيير شأنك في سماء عليائه، وعند ذلك تقولين بملء فيك منشئة منشدة، وللطريقة المثلى مرشدة، داعية لصاحب التاج والجلالة ومهنية، وشادية بعيد ذكراه ومغنية:

فليحي سلطان البلاد محمد ... من سيف عدله مصلت لا يغمد

وليهن رب الصولجان جلوسه ... بمنصة يعنو إليها الفرقد

وسموه في هيبة وجلالة ... في العرش يعلوه السنا المتصعد

وليحيى عرش الملك عرش محمد ... فينا كما يرضى النبي محمد

سبط الملوك الصيد وارث ملكهم ... من جاء للدين القويم يجدد

وليحيى مولانا الإمام منعما ... محروس عين عناية لا ترقد

وهناء ملكه دائم متواصل ... وصعوه طول المدا متجدد

وليحى في حلل السعادة رافلا ... يدعو إلى النجح الجلي ويرشد

لا بدع أن سر الزمان فإنه ... عين الزمان ونوره المتوقد

وليحيى عرش المجد عرش جدوده ... محيًا جميلا فائقا ما يعهد

وليحيى فينا العلم وفق مراده ... بوجوده وليحيى فينا السودد

وليحيى ميت العز بعد بلائه ... فترى غصون رياضه تتأود

وليحيى من تروي العطاش علومه ... وليحيى من يروي الحديث ويسند

وليحيى فخر المغرب الأقصا به ... ما جد في دعواته متهجد

وليحيى يوم فيه أعطى حقه ... وليحيى تاريخ له لا ينفد

هو للخلافة شمسها وبه انجلى ... زمن طلوعه بالكمال مخلد

وأول احتفال أقيم لهذا العيد بالمغرب كان في ١٨ نوفمبر عام ١٩٣٣ موافق ٢٩ رجب ١٣٥٢ وكان احتفالا شعبيًا أقامته جمعيات وجماعات المؤلفة لذلك الغرض ووجهت فيه برقيات التهاني لجلالته وهو يومئذ بمراكش في وجهته الخريفية، فلقي ذلك منه قبولا واستحسانا وتقرر في السنة الموالية بقرار وزيري، وفي كل عيد، تبدئ الجلالة المحمدية في إسعاف المعوزين وتعيد، وتستدعي الموظفين والأعيان وذوي الحيثيات من الأهالي والأجانب للقصر العامر لتناول ما لذ من فاخر أنواع الحلويات، وكئوس الأتاي والمبردات، وتمنح الأوسمة وتقابل الضيوف بما جبلت عليه من أخلاق مصطفية وهش وبش.

لا زال عصر مولانا مشرقا بأنوار النصر العزيز والتأييد، مرموقا بكمال العناية على التأبيد:

ولا زال مولانا الإمام محمد ... مليكا له من عون مالكه جند
ولازال بدرا يستضاء بنوره ... يلوح بأوج الفخر مظهره الفرد
ولا زال في ثوب المسرة رافلا ... وعيش رعاياه بإفضاله رغد
ولا زال في كل المقاصد ناجحا ... فيرتع في روض المنى الحر والعبد
ولا زال في عز يعز منالـه ... لهيبته تعنو القساور والأسد
ولا زال في كل الشئون مسددا ... بصائب رأي لا ينهنه رعد
ولا زال في كل المصالح ساعيا ... بأحسن تدبير به حزمه يبدو
ولا زال نصر الله يخدم بابه ... ويقصده من زهر أسعده وفد
ولا زال ملحوظا بعين عناية ... أتت بفتوحات بها انتظم المجد
ولا زال يرعى للرعية رشدها ... بتأليف آراء يفرقها الحقد
ولا زال للدين الحنيفي حاميا ... يشيد به صرح الهدى وبه يشدو

ولا زال للعلـــم الـــشريف مجـــددا نظـــام دروس دونـــه الجـــوهر الفـــرد
لينقـــذ مـــن يـــم الـــضلالة جـــاهلا فينجـــو ومـــن أودي بـــه الجـــزر والمـــد
ويـــصبح في روض المعـــارف راتعـــا ويجنـــي ثـــمارا دون مطعمهـــا الـــشهد
فيـــزداد منـــه الفكـــر خـــصبا وجـــدة بهـــا ربـــوة العرفـــان تربـــو وتمتـــد
إذ العلـــم معـــراج إلى كـــل نهـــضة ولـــولا ســـناه مـــا اســـتبان لنـــا رشـــد
بـــه ينـــصب القـــسطاس للعـــدل مثـــل مـــا يـــصح لمفـــروض ونافلـــة عقـــد
ويرشـــد للنقـــد الـــصحيح شـــبابنا فيـــصبو لـــه مـــن شـــعبنا الـــسمع والـــود
وتخـــترع الأفكـــار مـــا ترتقـــي بـــه لتجديـــد مـــا يحلـــو بتجديـــده الـــسهد
ولـــيس لـــذا مـــن همـــة علويـــة وعـــزم إمـــام العـــصر نـــأي ولا بعـــد
بـــه الملـــك يزهـــو والممالـــك تزدهـــي وأيامـــه الأعيـــاد يحلـــو لهـــا العـــود
ومـــن يكـــن الـــرحمن شـــائد ملكـــه يرافقـــه الإقبـــال والـــيمن والـــسعد
وتعنـــو لـــه الأعيـــان ودا وهيبـــة وتـــسعفه حتـــى يـــتم لـــه القـــصد

وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل الكرام، وصحابته بدور التمام، وآله المحرزين غاية الشرف ونهاية المرام.

وافق الفراغ من إخراجه من مسودته ضحوة يوم الجمعة سبع صفر الخير عام ثلثة وخمسين وثلاثمائة وألف، وعادة النظر والزيادة فيه في رجب ١٣٥٦ بالعاصمة المكناسية، لا زالت آثار المصلحين بها غير متناسية:

آمـــين آمـــين لا أرضى بواحـــدة حتـــى أضـــيف إليهـــا ألـــف آمـــين

تم بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه

ولما أتممت هذا الكتاب قدمت منه نسخة للسدة العلية، والجلالة المحمدية، فوقع من الجناب العالي أحسن موقع، وأصدر مولانا أيده الله هذا الظهير الشريف، الذي يعتبر تاج التقاريظ، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المحمدي الكبير:

«ابن عمنا الأعز، مؤرخ دولتنا الشريفة، نقيب العائلة الملوكية، ووارث سر الأسلاف، ويتيمة الأصداف، الفقيه العلامة، الذي لا يحتاج إلى التمييز بعلامة، الشريف مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، لا زالت رياض العلوم بأزهار معارفك تزدان، السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، ورضوانه الأعم وتحياته؛ أما بعد فقد وصل جنابنا العالي بالله مؤلفكم (الدرر الفاخرة بمآثر آبائنا وجدودنا بفاس الزاهرة) الذي وجهتم لسدتنا الكريمة هدية، وطرفة أدبية سنية، فتلقاه جنابنا الكريم بيمنى القبول والإكبار، ولاحظناه بعين الرعاية والاعتبار، وحلينا به جيد مكتبتنا الملكية الفاخرة، وجعلناه واسطة عقد ذخائرها النفيسة المتكاثرة، بعد أن طالعناه وتصفحناه مطالعة وتفصح ناقد بصير، وأحطنا من مكنون سره بكل نقير وقطمير، ووجدناه نتيجة فكر خرّيت درس الحقائق وراضها، ومدرس صنعة التأليف واقتحم لججها وخاضها؛ فظهرت في التدبيج والترصيع براعته، وفاقت وراقت في الإتقان يراعته، وارتقى على السوى برقة الأسلوب، ورشاقة دقة كيفية الوصول إلى المرغوب مع فصاحة وبلاغة وصراحة، فللك أبوك لا فضل فوك، أديت عنا عجز عن الوفاء به الأوائل، وسددت فراغا عظيما بهمة فعالة وعمل في النفع العام المتواصل، وجددت ما اندثر أو كاد من مراسم الاعتلا، ونشلته من مخالب الإهمال والبلا، وأظهرت للعيان ما خفي عمن تقدم من الجهابذ النقاد، من مآثر الآباء والأجداد، أصلحك الله ورضي عنك وأمنك ورعاك، وأعانك وزاد في حسك ومعناك، والسلام صدر به أمرنا الشريف المعتز بالله تعالى في ٢٣ جمادى الثانية عام ١٣٥٤».

ثم بعد هذا صدر الأمر العالي بتقديمه للطبع على نفقة الجناب الشريف حسبما

ذلك في كتاب صاحب الدولة الصدر الأعظم المطبوع نصه صدر هذا الكتاب.

نص ترجمة الظهير السلطاني المذكور للفرنسية:

Louanges à dieu, seul. Que scs prières et ses bénédictions se répandent sur Notre seigneur ct Maitre Mohamed, sur sa famille et ses compagnons.

A notre très cher cousin, historien de notre dynastie chérifienne, chef de notre famille imérialc, hérilier de la vertu de nos ancêtres, homme d'un mérile aussi rare que la perle unique des coquilles de nacre, juristc très savant qui pour être distingué n'a pas besoin de signe particulier, le chérif MOULAy ABDERRAHMAN IBN ZAIDAN, puissent les jardins dcs sciences ne point cesser d'ètrc parés des fleurs de votre savoir.

Que le salut vous soit accordé, ainsi que la miséricorde et les bénédietions de dieu le Très-Huat. Qu'il daigne vous marquer son entière satisfaction et vous donne longue vie.

Notre Majesté chérifienne, elcvée grâce à dieu, a reçu votre ouvrage: "les perles précieuses des hauts faits de nos pères et de nos aieux dans fez la florissante". Vous nous avez adressé en hommage ce précieux présent littéraire.

Nous lui avons réservé le meilleur accueil, en lui accor- dant l'importance qu'il mérite. L'intéret et les soins auxquels il a droit. Nous en avons fait l'ornerment de notre glorieuse biblio- thèque royale en lui réservant au milieu de ses nombreux trésors la place d'honneur qui est celle de la perle centrale d'un collier.

Nous l'avions tout d'abord lu et examiné avec le soin du critique sagace et nous en avions pénétré toute la vertu cachèe. Il nous étail apparu comme l'œuvre d'un esprit rompu aux enquètes scientifiqus et habile dans l'art de la composition.

Vous ornez de joyaux la trame précieusc de vos écrits c'est par là que votre talent se manifestc. On ne peut surpasser la solide perfection de votre stylc limpide. Par sa délicalesse, par votre manière élégante et précisc d'exprimer votre pensèc, par votre éloquenvce claire et convaincante. Vous vous élcvez au dessus de vos émules. Nous vous cn félicitons et vous souhaitons de poursuivre dans cette voic.

Par cette ?? vous vous êtes acquitté d'une dette que vos prédéeesseurs impuissants avaient négligée et vous avez comblé par une volonté agissante et dans un souci constant de l'inl?rét général une grave lacune.

Vous avez retracé les hauts faits de nos ancetres, oubliés on menacés d'oubli; vous les avez sauvés de la disparition, coséqueuce de l'abandon où ils étaient laissés. Vous avez mis en ?? ?? d'entre eux qui avaient échappé aux critiques ???? dien améliorer votre sort et vous marquer sa ??

donne la paix et qu'il vous ait en sa ?? en aide et qu'il accroisee votre faculté ??? de sentir.

Sa'rt. F???< la il mille trois cent einquatre quatre.

وقد قرظ هذا الكتاب جماعة من أركان الدولة المحمدية الشريفة ورؤسائها وأعلامها وكتابها وأدبائها وغيرهم نذكر تقاريظهم على ترتيب تاريخها فمن ذلك ما كتبه عليه صاحب المعالي وزير العدلية الفقيه العلامة السيد محمد بن عبد السلام الرندي مقرظا ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد فقد اطلع كاتبه كان الله له على ما سطره العلامة المؤرخ المطلع الخبير، الأديب الشاعر الناثر البارع الكبير، الذي جعل الله تعالى له في التاريخ والأدب يدان، وأن هاذان لساحران، الشريف الجليل النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، أبقى الله تعالى علينا وعليه فضله ما تعاقب الملوان، وأهطل من نواله بحور فيضان، وكان لنا وله في الدارين أحسن كيان، وذلك ما جمعه من بعض مآثر من تستمد منهم البحور، وتتزين بعلاهم النحور، ساداتنا ومواليا الملوك العلويين الأجلاء العظماء الذين جعلهم الله تعالى غرة في جبين الدهر، وأيدهم بالعز والظفر والنصر، وشرف نسبهم الزكي الطاهر، وأعلى قدرهم البهي الباهر، أبد الله تعالى دولتهم، وخلد صولتهم، وأعز بهم دين الإسلام، وزاد بهم إلى أمام، وأدام الدهر من خدامهم، والسعادة والنصر من خلفهم وأمامهم، فألفيته قد استقصى في ذلك بقدر الإمكان ما قلما يقدر عليه غيره إنسان، لما أمده الله تعالى به من التوفيق وهداه للغوص على درر تلك المآثر من أوضح وأدق طريق فهو رجل علم منطق الأحجار، وفُهِم مخاطبة أعواد الأشجار، ويكلمه جبس الجيار، فيا ما أغوصه على ما خفي من تلك المآثر، وسواء عليه من الخفي والظاهر، فالراقف عليه باهت باهر، لا في الأول ولا في الآخر، هذا مع كون ما ذكره، وإن استعظمه انطلع واستكثره، فهو أقل من عشر المعشار مما لتلك الدولة العظيمة من المآثر والمحاسن

الغزار، والفضائل والفواضل وعلو المقدار، مما لا يكاد يأتي على الانحصار، ولكنه قد جمع جمعا، استقى فيه وأوعى، فلا يسع المطلع على ما ذكره، على الوجه الذي سطره إلا الاعتراف له والإطراق وتسبيح الواهب الخلاق، المفضل حتي في العلوم والأرزاق، وقد خمست بيتين مشهورين قيلا في غيره، لأثنى عليه وأعوذ كتابه هذا من شر حاسده وضيره:

إذا ما القوس أعطي من براها ... وأُسندت الأمور لمن دراها

أقول وقولتي حقا أراها ... «جميع الكتب يدرك من فراها ملال أو

ملال أو فتور أو سآمه

فكل ما المؤلف يصطفيه ... ويأتي بعده من يقتفيه

فلا ينجو لشانته بفيه ... «سوى هذا الكتاب فإن فيه

بدائع لا تمل إلى القيامه»

وحرره تاسع حجة الحرام عام ١٣٥٥، عبيد الله تعالى محمد بن عبد السلام الرنده كان الله له في الدارين.

وكتب عليه صاحب السعادة رئيس مجلس الاستئناف الشرعي الأعلى العلامة سيدي محمد بن العربي العلوي:

الحمد لله

أما بعد فقد اختلست من أوقاتي الممتلة بالأشغال المتزاحمة، والقضايا المتراكمة ما صرفته للاطلاع على ما أمكن من هذا السفر الجليل، والذخر الثمين النبيل، فإذا هو قلادة النحر، بل هو يتيمة الدهر، مما يجب أن يشد عليه بيد الضنين، ويغالى فيه لأنه الكنز الدفين، فموضوعه من أشرف المواضيع وكيف لا وهو مآثر السادات الأشراف العلوية، ومفاخر الملوك الحسنية العُلوية:

مـــن لم يكـــن علويـــا حـــين تنـــسبه فـــمـــا لـــه في قـــديم الـــدهر مفتخـــر

وواضعه هو جهينة هذا السر المكين، وعند جهينة الخبر اليقين، فهو أجدر من يعطي هذا الموضوع حقه ويستوفيه، فرب البيت دارى بالذي فيه، على أنه وإن أتى بما لم يسبقه إليه سابق، ولا يلحقه فيه لاحق، فما هو بالنسبة إلى الواقع إلا كنقطة من بحر، أو قطرة من مستهل قطر، ولا سيما فيما يرجع لمآثر ملكنا المفدى، ومفاخر مولانا الذي بهديه يستهدى، إذ لم يأت منها إلا بأوائلها، ويستصغر وإن كانت عظيمة عند مقابلتها بأواسطها وأواخرها، إن شاء الله تعالى:

بلغنـــا الـــسماء مجـــدنا وســـناؤنا وإنـــا لنرجـــو فـــوق ذلـــك مظهـــرا

فلسان حاله أعزه الله عند عارفه ينشد:

لـــــسنا وإن إحـــــسابنا كرمـــــت يومـــا عـــلى الأحـــساب نتكـــل
نبنـــي كـــما كانـــت أوائلنـــا تبنـــي ونفعـــل مثـــل مـــا فعلـــوا

ويردد:

عهـــود مـــن الأبـــا توارثهـــا الأبنـــا بنـــوا مجـــدها لكـــن بنـــوهم لهـــا أبنـــى

أدام الله في فلك السعادة بدره وحفظنا فيه وفي أنجاله الكرام، وأدام الملك فيه وفي عقبه إلى يوم القيامة: محمد بن العربي العلوي وفقه الله.

وكتب عليه صاحب الفضيلة الشريف العلامة سيدي المدني ابن الغازي ابن الحسني بمجلس الاستئناف الشرعي الأعلى:

الحمد لله

أما بعد حمد الله الذي له الحمد في الأولى والآخرة، والسلامين على صفوة الخلق الذي لا يحصر حاصرٌ مفاخره، وعلى آله وأصحابه البحور الزاخرة، ما انتظمت في

عقودها الدرر الفاخرة، فقد وقفت على ما كتبه صديقنا الأديب الكبير المؤرخ الشهير من اشتهر في التاريخ المغربي بين الأماثل كأمثال الميداني العلامة النقيب الزيداني، في مفاخر ملوك دولتنا العلوية، ومآثر رجالها العظام الذين حازوا قصب السبق بالأولوية، فوجدته البحر الزاخر، في إبداء تلك المآثر والمفاخر، محققا فكرة من قال: كم ترك الأول للآخر، ولا غرو فقد أُعطيت قوس العلا من قد برا، وكل الصيد في جوف الفرا، وقد جعل الله فكل شيء قدرا، ورب البيت بما فيه أدرى، إذ له في هذا الميدان، يدان، وطاع له فين ودان، كل قصي منه ودان، ولما هو عليه من جليل الإفادة، وأثيل الإجادة، أنشدت فيه قول أبي عبادة:

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت ... برقت مصابيح الدجا في كتبه

حكم سحائبها حلال بنانه ... هطالة وقليبها في قلبه

فالروض مختلف بحمرة لونه ... وبياض زهرته وخضرة عشبه

وكأنها والسمع معقود بها ... شخص الحبيب بدا لعين محبه

ذلك أنه أتى بمفاخر عظماء أولئك الملوك، ناظما عقود جواهرها في سموط وسلوك، مستغرقا في جميع تلك اليواقيت أوقاته بين غسق ودلوك، واستوعب الأخ النقيب، وأكثر من التنقير والتنقيب، إلى أن فاز بالمعالي والرقيب، وذلك بعد أن أثار صحائف التاريخ وصفائح الآثار، التي لا تكاد تقاربها موجبات الاندثار، مجتنبا سبل العثار، اللاحقة للتمسك بالإكثار، ممن خصه بالإيثار، وجعله الشعار والدثار، وكل ذلك ناطق بمآثر أولئك الأطواد، ومفاخرهم الشامخة في كل ناد؛ لأن مفاخر هذا البيت بيت آل علي، باقية على كر الغداة وسر العشي، لا يلحقها دثور، على تعاقب العصور، ولا يصادفها في أدوار التاريخ نسيان:

همم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبألسن البنيان

شيدها الرشيد وإسماعيل؛ إذ كانا لهذا البيت السباق مقدمة الرعيل، وغير

مستغرب رفع إسماعيل للقواعد، والسعد لساعده مساعد:

فإسماعيل كم أبدى وأسدى وأهدى من مآثره الجسام

فطنجة والعرائش في ثغور بدت تفتر منه بابتسام

فهو البيت الرفيع العماد، والحصن الذي هو أعظم الحصون فيما يصون الإسلام على تعاقب الأماد:

إن الذي سمك السماء بنى لهم بيتا دعائمه أعز وأطول

وهو وإن جمع ماسنح ولمع، فما هو الأغيض، من فيض، وقل من كل، ولا سيما مآثر مولانا الإمام المفدى، ومفاخره التي لا يناالها الاستقصاء عدا؛ فإنها لا زالت تتجدد وتتكاثر أفرادها وتتعدد، فهي كالمزن الصيب متوالية تستمر، وأول الماء قطر ثم ينهمر، فعذر المؤلف أنها لا تبرح في ازدياد. و:

إن في الموج للغريق لعذرا صادقا أن يفوته تعداد

لا زال مولانا الإمام لجبين هذا العصر غرة، ولعيون الإصلاح والمصلحين قرة، ومفاخره بين تلك المآثر الزاهرة درة، وأيد به الإسلام، وشيد به منار العلم المستضاء به في حنادس الظلام، ونشر به معاهد التعليم في جميع أقطار هذا الإقليم وحفظنا فيه وفي أشباله الكرام وجعلها كلمة باقية في عقبه بلا انصرام:

والله يبقيه لنا سالما بزاده تبجيل وتكريم

وكتبه محمد المدني ابن الحسني لطف الله به.

وكتب عليه صاحب السعادة رئيس محكمة الجنايات العليا العلامة سيدي محمد العربي بن أحمد الناصري:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد فإن مجد كل دولة وفخرها، وتمدنها وحضارتها إنما يعرف بما سجله لها علماء التاريخ والأخبار، مما خلدته من المآثر والآثار، التي لا يعفوها مرور الأجيال والأعصار، وبما مهدته من سبل العمران التي تدعو إليها ضرورة الاجتماع البشري من مشارع وقواعد هامة، ومصالح ومرافق عامة، ونشر العلم الصحيح والاعتناء بأهله، وتنظيم مسالكه المقربة لتحصليه المعينة على الجمع بين فروعه وأصوله، فذاك لعمري الشاهد العدل والدليل القاطع على فضل الدولة وما بلغته من الرقي والعظمة والترف والنعيم، والثروة الضخمة والفخر والعز القديم، وهذا القطر المغربي صانه الله غني بآثاره المنبثة في مدنه وأمصاره حتى أنك لتكاد تقرأ آياتها بين أسواره وأحجاره، وتبادهك أطلالها بما انطوى من صحف أخباره، وخفي من مكنون أسراره، كل ذلك مما تسابق في تأسيسه الملوك الأولون، وتنافس في تشييدها الأمراء السابقون، قياما بواجب ما طوقهم الله به من رعاية خلقه وحفظ نفوسهم، وصاينة حقوقهم وحرصا على تخليد ذكرهم وإبقاء مآثرهم:

هم الملوك إذا أرادوا ذكرها ... من بعدهم فبشامخ البنيان

إن البناء إذا تقادم عهده ... أضحى يدل على عظيم الشان

ولا شك أن دولتنا الشريفة ذات المجد الشامخ والفخر الثابت الراسخ من أكثر الدول فيه آثارا، وأعظمها له استعمارا، وأجلها في ذلك شواهد وأخبارا بما شيده فيه ملوكها العظاء الهداة الأعلام أئمة الدين وحماة الإسلام من معالم الحضارة وأسسوه من الأبنية الضخمة والعمارة ومهدوه من طرق المواصلة والتجارة، وقرروه من نشر العلم وتهذيب أساليب التعليم، وحافظوا فيه على الدين وسلوك سبيله المستقيم، مما سيظل إن شاء الله قرونا عديدة، وأدهارا متطاولة مديدة، ناطقا بعلو كعبهم في هذا

الشأن شاهدا عدلا على تفوقهم في الميدان على من تقدمهم من الملوك الأعيان فيما غبر من الأزمان:

تلـــك آثارنـــا تـــدل علينـــا فـــانظروا بعـــدنا إلى الآثـــار

ولقد كانت هذه الآثار على كثرتها واختلاف أنواعها لا يعلم جل الناس إلا القليل من أخبارها، ولا يدرون السبب الداعي لإيجادها، ولا يميزون بين قديمها وحديثها، ولا يفرقون بين ما أسسه كل واحد من الملوك على حدة مع ما في تعرف ذلك من عظيم الفائدة وطالما تشوف عشاق التاريخ والمولعون بالبحث عن الآثار لمن يخوض هذا المضمار، ويكشف عنها الستار؛ لأن الموضوع على نفاسته لم يطرقه إلا نفر قليل؛ مخصصين ناحية معينة منه بالبحث والتحليل، إذ لا يتسنى لأحد أن يجمع بين أطرافه، أو يحيط بأوصافه، إلا إذا كان له في ذلك باع كبير واجتمع لديه من المؤلفات الشيء الكثير ثم يعكف عليها بالدرس والتقليب والبحث والتنيقيب ليحظى منها بالفائدة ويحصل على المقصود، ويعثر على الضال المنشود، وقد جمع الله كل ذلك لحبيبنا وصديقنا العلامة المؤرخ الشهير الدراكة الباحث المطلع الخبير الشريف الأصيل النقيب الأمجد الأثيل فخر الكرام وعين الأشراف الأعيان أبي زيد مولانا عبد الرحمن ابن زيدان زاد الله في رفعته وبلغه غاية أمنيته فتصدى للموضوع وأعطاه حقه بحثا ودرسا، ولم يُبقِ فيها احتمالا ولالبسا، وأبرز لنا في مآثر دولتنا الشريفة كتابا قيما نفيسا، أظهر فيه محاسنها، واستعرض فيه مفاخرها وجلى للعيان مجدها، حتى صار مشاهدا ملموسا وقد طالعته فألفيته أتقنه صنعا وأحسنه وضعا، وبرع فيه ترتيبا وجمعا وإن كانت مفاخر ساداتنا الملوك الأشراف العلويين لا تحصى ولا تحد ولا تستقصى، فقد أتى بما لم يأت به غيره ممن سبقه من علماء هذا الشأن؛ ولا غرابة في ذلك فإنه المجلي في هذا الميدان ولا يختلف فيه اثنان، فإنه حفظه الله لم يدع أثرًا إلا ذكره واستوعب أصله وخبره ونوه به ونشره من عهد مولانا الرشيد وصنوه مولانا إسماعيل إلى زمن مولانا

الإمام الهمام الجليل فخر الدولة العلوية وفرع الدوحة الهاشمية أمير المؤمنين أبي عبد الله سيدي محمد أدام الله عزه وفخره، وزين بالمآثر الدينية والدنيوية دولته وعصره فقد تتبع ما أحدث في عصره إلى زمننا هذا من المآثر العظيمة والمفاخر السامية ونسقها تنسيقا وحقق ذلك تحقيقا، وكيف لا وبوجوده أشرقت شموس المعارف العلمية وارتفعت أعلام هذه المملكة المغربية، واشتهر أمرها في الأقطار والممالك القاصية والدانية، وصارت والحمد لله تتقدم بقدم ثابتة في طرق الرقي والمدنية والحضارة العربية الإسلامية أمده الله بتوفيقه ورعايته وبلغه أمنيته في دولته ورعيته، وأقر عينه بولي عهده وأشباله الكرام وسائر ذريته، آمين.

هذا وكم لهذا المؤلف الجليل والسيد السري النبيل من يد بيضاء على هذه الدولة الميمونة الغراء بما جمعه من أخبارها ونشره من آثارها؛ فإنه أعانه الله صرف همته لخدمة بيته الكريم بعزم صادق فقام منذ نشأته على قدم وساق، وجال في البلاد والآفاق، والتقط الدرر من بطون الدفاتر والأوراق، واستخرج مكنونها من بين الأنقاض المردومة، والأحجار المركومة والكتابات التي كادت أن تعد معدومة فكم قاسى من شدائد في تنسيق تلك الفوائد وقيد من شوارد في تسطير تلك الشواهد الحاوية للطارف والتالد، من مجد آل علي الشريف الخالد وكم صرف من الوقت النفيس الكبير وأنفق من المال الكثير، ولا ينبئك مثل خبير، وبالجملة فقد تهيأ له ما لم يتهأ لغيره، وفُتح له فيه بما لم يفتح لأحد من أهل عصره، فحقه أن يجازى على ذلك ويشكر، ويعلن فضله ويذكر، على أن مولانا الإمام أيده الله يعرف له ذلك ويرفع من قدره، ويشيد بذكره. ويرمقه بعين الإجلال والإكبار، ويخصه بمزيد الحظوة والاعتبار، أبقى الله جلالته لرفع مقام أهل العلم والدين، وتقديم الأكفاء المستحقيق من رجال دولته النصحاء المخلصين، حتى ترتقي أمته في أيامه إلى أعلى درج المفاخر وتظهر بين الأمم في أشرف المظاهر بجاه جده عليه السلام، أنه تعلى ولي كل فضل

وإنعام، والسلام حرر بمحروسة فاس في عاشر صفر الخير عام ١٣٥٦ الموافق ٢٢ إبريل سنة ١٩٣٧ : محمد العربي الناصري لطف الله به.

وكتب عليه صاحب السعادة مندوب الصدر الأعظم في المعارف العلامة سيدي محمد بن الحسن الحجوي:

بسم الله الرحمن الرحيم

آثـــارهم عظـــيم دليـــل مـــآثر ومفـــاخر جلـــت عـــن المقـــدار

أما بعد فقد تشرفت بمطالعة كتاب مآثر الدولة العلوية بالمغرب الذي أملته قريحة أخي وصديقي حق صديق الأستاذ الجهبذ مؤرخ المغرب ولسان مآثره المعرب النقيب الأجل مولاي عبد الرحمن ابن زيدان، وما أدراك ما ابن زيدان: مجد شامخ، وعلم راسخ، وأدب فائق، وشعر رائق، يعترف له أصحاب الخيال وأنصار الحقائق، وسماحة ورجاحة، وبشاشة وصراحة، واقتدار زائد يتلوه شاهد، طالعت جُل هذا الكتاب وراجعته، وأمعنت فيه النظر وأمتعته، فإذا هو كتاب يقرظ نفسه بنفسه، وينم عرفه عن غرسه، لا يمل مطالعه، ولو عظمت موانعه، بل لا يقف الواقف عليه إلا إذا استنزف معينه، واستجلى عينه وجاء على آخره ويكفي هذا من مفاخره إذ هو كالمؤمن للمؤمن قد أحكم مبناه، واتضح معناه، وتماسكت حلقاته وتطابقت فقراته ومنذ سمعت قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لم أجده منطبقا إلا عليه، ولا يصلح وصفا إلا له، وما هي بأول بركتكم آل إسماعيل، وهو مع ذلك جامع لمآثر هذه الدولة الشريفة العلوية الخالدة الوجود، والذي يستمد من مآثرها الوجود جمع تعميم محكم السبر والتقسيم، يضم الطارف للتالد ويؤلف بين المعروف والشارد يرجع بك أدراجا إلى عهده الأول الزاهر حتى كأنك فيه حاضر ويسلك بك بين تلك المشاهد والمعاهد ويملي عليك من تلك الأعمال الأوابد ما تظن معه أن مؤلفه عاش من أول الدهر واستقى من كل بحر، ووقف على كل طلل وشرب عللا بعد نهل، حتى يصل

بك إلى عهد هذا الإمام المظفر الهمام أمير المؤمنين مولانا محمد بن يوسف الذي أقام على تلك الشنشنة الشواهد ورفع من الدين القواعد فليبلغ الغائب الشاهد وفيه يصدق القول المتواتر: كم ترك الأول للآخر وأدام الله ملكه لهذا الدين ركنا يأوي إليه ولهذا الوطن ظلا يرف عليه، وأراه في ولي عهده وأنجاله ما تقر به عينه وعين أمته ويزيد في رقيها ما يحصل به كامل مسرته، فأهنيك يابن زيدان على ما نشرته من طي هذا المجد الرفيع، والشرف المنيع، مجد هذه الدولة العظيمة المآثر الموفورة المفاخر، ذات اليد البيضاء الظاهرة على الدين والملة الطاهرة، فاكتمل بعملك هذا رونق تاريخ هذه البلاد وارتفع به رأس المغاربة بين العباد، وإني أعدُّك بتأليفك هذا ممن جدَّد لهذه الدولة المباركة عمرها الثاني وأعيذك بالسبع المثاني من الحاسد والشاني فشكرًا لك ثم شكرًا يسجله لك عملك الخالد ويخلده لك لسان الأيام الشاهد في صحيفة من خدموا هذا الوطن بإخلاص وصفا، فليكن ذلك حظك وكفى، حرره بفاس في ١٣ صفر الخير ١٣٥٦: خديم السنة محمد الحجوي.

وكتب عليه صاحب السعادة رئيس الديوان الملوكي الخاص العلامة السيد محمد معمري الزواوي:

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حمدا لمن أورث سياسة البلاد الصالحين من العباد، وأعقب أصحاب السيرة الناجحة ذرية زكية صالحة، وصلاة وسلاما على خير مبعوث بخير كتاب لخير أمة مؤيدا بخير الأصحاب، وعلى آله البررة الأنجاب الذين طابت بهم الرحاب، وزكت بفضائلهم الأتراب، وقويت بسيرتهم الأحزاب؛ أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق وسن له سننا، وجعل الإنسان خليفته في الأرض وطوقه مننا، فأرسل رسله بالشرائع لتتبين له المحجة، وكلفه باتباع أوامره واجتناب نواهيه لتتوجه عليه الحجة، فمن سلك الرشاد فاز في الدارين فوزا عظيما ومن جنح للفساد كان سعيه فيهما عقيما

وقد دلت على هذه المقدمات الثابتة، شواهد التاريخ سواء الناطقة منه والصامتة، ويكفي من أراد الوقوف على مدعم البرهان أن يراجع تاريخ الدول في متعاقب الأزمان، فمهما كان الصلاح رائد الملوك عقب الفلاح حسن السعي وقويم السلوك، ومتى بني على اتباع الشهوات أنتج متواصل الحسرات وبقدر ما يدوم الملك للمقسطين، يسارع الزوال صولة القاسطين، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولا دليل أقوى لتدعيم هذه الحجة وتحبيذ سلوك صالح المحجة من آثار الدولة العلوية الشريفة، لا زال المغرب يرقى تحت ظلالها الوريفة، فهذه ثلاثة قرون بل تزيد وسلاطينها تتعاقب على عرش المغرب تؤسس أركان المجد وسروح المعالي تشيد، كل يسارع إلى حسن السبيل، ليحصل على لذيذ الثمرات كارها من المعين السلسبيل، ممهدا في الصالح العام عويص العقبات؛ فمن بانٍ لقصور العز والفخار ومؤسسٍ لأعمال تفتخر به الأبرار، ومشيد لزواهر المساجد يعمرها العالم والعابد، فمعاهد العلم تشدو بمفاخرهم المؤثلة والمشاريع الخيرية تنبئ عن كرائم أصوله المؤصلة، يجدون بالنهار ليعم الإصلاح بلادا وعبادا ويقومون بالليل سجدا وعبادا، حافظين لهذه الدار عمارتها، راعين للأخرى حرمتها؛ فتعاقبوا تعاقب المصلحين وتوارثوا توارث عباد الله الصالحين:

نجـوم سـماء كلـما انقـض كوكـب بـدا كوكـب تـأوي إليهـا الكواكـب

ومن العناية الإلهية أن يحفظ صالح الآثار ليبقى أية لذوي الاعتبار، تقيض من يتولى ما الإصلاح ما يهدده الزوال، كما تثير من يسطر مفاخر الأعمال ليودع بطون الدفاتر نفائس أثر الرجال، وهو ما قام به البحاثة اللبيب والمؤرخ الأديب سعادة النقيب مولاي عبد الرحمن ابن زيدان فلقد سعى أولا في البحث حتى أمكنه الحصول على غاية المأمول من الأصول التي يتوقف عليها التأليف ويتم بها حسن التصنيف، فجمع من آثار السلف، ما يصلح لتعليم الخلف، وأتى به لبة افتخار لجيد الزمان

ووضعه على هام المجد كأنفس التيجان، تزهو بحسن صنعه الأيام، وتصول بجميل وضعه الأعوام، وجاء تأليفه النفيس درة يكلم بها عقد عصرنا الزهي الزاهر، وتم بما سلكه فيه من حسن التأسيس افتخار عهد مولانا الزكي الطاهر، سلطان البلاد ومرشد العباد، ركن هيكل السعادة، وقطب فلك السيادة، الهمام الذي تزدهي به الأيام وتصول، الغصن اللدن الذي تورق به دوحة الرسول صلى الله عليه وسلم وشرف قدره العظيم وكرم فخر الشباب في السلاطين، ومن غدا أعظم الأركان للهدى وأمتن الأساطين، الكريم الغيور الممجد سلطان المغرب سيدي محمد أيد الله مجده الأثيل، ومتعنا بفخره الأصيل إنه المجيب الكريم، الرءوف الرحيم، كتبه في ١٥ خامس عشر ربيع الأول عام ١٣٥٦: عبد ربه محمد العمري الزواوي لطف الله به.

وقال فيه أديب القطر الشنجيطي الفحل العلامة السيد ماء العينين بن العتيق زاد الله في حسنه ومعناه ولا فض فوه:

أمن خاض بحر العلم في فلكه الوسطى ... إلى شطه والغير ما جاوز الشطا
وما رام في أفق التآليف مرتقٍ ... مساماته إلا حرج وانحطا
فؤادك في الآداب جولت طرفه ... فما قصبيات السبق إلا له تُعطى
ومالك فضلا يا (ابن زيدان) مشبهٌ ... ولو شط في شأو المفاخر ما شطا
وعترتك الأملاك أبقت مآثرا ... أطلت لها في كل مكتبة مرطا
همُ نثروها في الأقالم لؤلؤًا ... وأقلامكم في الصحف تنظمها سمطا
أقر بها الأماق منكم مؤلفٌ ... وعلق في الآذان من سبكها قرطا
فما هو إلا الدر لله دركم ... ومن ذا سواكم يودع (الدرر) الخطا
رآه أمير المؤمنين (محمد) ... وفي ما اقتضاه عزم مبلغه شحطا
أجل تواريخ السلاطين رنة ... وأجزلها لفظا وأجلها قسطا
وأرشدها هديا وأبعدها مدى ... وأفضلها مغزى وأكملها ضبطا

فمال جميل الطبع منه لـ(طبعه) وكان بذا الأسلوب يستحسن البسطا
وذاك اعتناء منه بالعلم والعلى وما الله من فخر لأسلافه أعطى
مآثر أبقاها (الرشيد) فصنوه فالأبناء فالأسباط سبطا يلي سبطا
نجوم سماء و(ابن يوسف) شمسها عقود جمان وهو عصماؤها الوسطى
مليك مساعيه الحميدة يافعا تكلُّ وما تأتي الملوك بها شُمطا
يني الذلق عن مدح الإمام ولو حدتْ نواجي النهي تنصاع في بيده خبطا
فمن يغترف ما اسطاع من بحره يُصبْ ومن يعترف بالعجز عنه فما أخطا
فلا زال بدرًا في السعادة كاملا وبحرًا يزيل الجهل والعسر والقحطا

في ٩ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ : ماء العينين بن العتيق الحسني الأدريسي الشنجيطي.

وقال فيه أديب سوس وعلامتها المشارك المرجوع إليه سيدي الطاهر بن محمد اليفراني أطال الله بقاءه:

بسم الله الرحمن الرحيم
اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله

وافت وقد جنَّ الدجا زائرة غريرةٌ ساحرةٌ ساخرة
ذكرت العهد وشاقت إلى نجد وأيام الحمى الغابرة
يا ربة الحسن اربعي فالصبا بعد المشيب صفقةٌ خاسرة
لولا (ابن زيدان) وهمته الـ ـمقعسا وآلاء له ظاهرة
ما جالت الفكرة ناظمةً في حلبة القول ولا نائرة
ندب تسامي مجده فسرت مسرى الصبا أمثاله السائرة
خلق كما ثم النسيم على روض ذكت أنفاسه العاطرة
وهمة تسمو السما فترى من تحتها أنسرها الطائرة
به قضى المجد برغم الألى مضوا بفضل الأعصر الحاضرة

علم وديـن راسخ وتقى ... وكرم أمواجه زاخرة
له التآليف التي بهرت ... أهل النهى أسرارها الباهرة
مثل (العبير) نفسًا وشذىً ... و(منزع ألطافُهُ) وافرة
قد حكمت لفكره أنه الـ ... ـبحر الخِضمُّ (الدرر الفاخرة)
قضى بها حق العلا ووفى ... بالجد قدر العترة الطاهرة
أحيا بها رسم الملوك الألى ... ساسوا الورى بالهمم القاهرة
سلالة المجد ونسل التقى ... شُهب الهدى في الظُّلم الثائرة
عترة مولانا (الشريف) وما ... أدراك ما هُم أُسُدٌ كاسرة
من في ملوك الدهر مثل (أبي الفـ ... ـداء) قطب الأنجم الدائرة
ثم الملوك الصيد أبنائه ... سم العدا ذوي الجدى الوافرة
إلى إمام العصر بدر الدجا ... مبيد أجناس العدا الجائرة
سيدنا (محمد) بن (أبي الـ ... ـحسن) مديل الأمنة الساترة
القائل الفصل إذا ضلت الـ ... ـسُّمَّارا وكلَّت الظُّبا الباترة
والقاتل المحل إذا أخلف النـ ... ـوى وشحت سُحبه الماطرة
والناهش الهمة مهما ونت ... عن المعالي الهمم الفاترة
أقسمت بالمجد وآياته ... ومقلةٍ في عزها ساهرة
ما خطت الأقلام في ورق ... في السعي للدنيا وللآخرة
مثل معالي عزه الجابرة ... ما كسرته الفتن الكاسرة
ولا بنت مثل علاه بنو ... مروان في (الزهراء) و(الزاهرة)
أدامه الله لأمته ... يحوطهم من فئة ماكرة
ومد في مدته كي ترى ... في ملكه (الفسطاط) و(القاهرة)

ووجـــــه الهمـــــة منـــــه إلى ... جـــامع هـــاذي (الـــدرر الفـــاخرة)
نـــــادرة الـــــدهر وواحـــــده ... عـــالم أهـــل البـــدو والحـــاضرة
ذاك (ابـــن زيـــدان) الإمـــام أبـــو ... زيـــد الـــذي أخلاقـــه طـــاهرة
فـــاعن بطبـــع كـــل مـــا وشـــحت ... فكرتـــه الناظمـــة النـــاثرة
إعانـــة لـــه عـــلى همـــة ... لـــيس لمبـــدا مـــدها آخـــرة
فهـــو لـــسان مـــن مـــضى وأتـــى ... مـــن عـــترة مـــشكورة شـــاكرة
وفرهـــــا الله وأيـــــدها ... طـــول المـــدى منـــصورةً نـــاصرة
ولا يـــزل مـــولاي يجنـــي المنـــى ... أوجههـــا مـــسفرة ســـافرة
آمـــين آمـــين بـــلا منتهـــى ... حتـــى تـــدور الـــدورة الـــدائرة
يعلـــو بـــه الـــدين ويهـــوي بـــه ... أعـــداؤه اللئـــام في الحـــافرة
ثـــم ســـلام الله مـــا وخـــدت ... لبابـــه أمداحـــه العـــاطرة
ثـــم عـــلى أســـلافه الطـــاهرة ... ســـحائب الرضـــوان في الآخـــرة
مـــا رنحـــت عطـــف الكـــريم رُقـــى ... أقـــلام هـــاذي الفئـــة الـــشاعرة
ثـــم صـــلاة الله دائمـــة ... وافيـــة وافـــرة غـــامرة
عـــلى رســـول الله مـــا نُـــصرت ... أعلامـــه المنـــشورة النـــاشرة
وآلـــه والـــصحب مـــن هجـــروا ... في حبـــه والـــسادة النـــاصرة

في ١١ ربيع الثاني عام ١٣٥٦.

وكتب العلامة المؤرخ الكاتب الأبرع السيد محمد بن علي الدكالي السلوي ما نصه:

(الحمد لله) الذي فتح أقفال الكنوز العرفانية فبدا من نتائج الأفكار والعقول ما كان محجبًا عن الأنظار، وأنار العقول بأنوار المعرفة الروحانية؛ فانقشع الغيم عن البصائر والأبصار، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النور الأعظم، والسر الإلهي

المطلسم، الذي أرشد أمته إلى المحجة البيضاء والطريق الأقوم وعلى آله الأبرار، وصحابته القادة الأخيار، الهداة الكبار، ما بدا في سماء المعرفة نجوم بل شموس وأقمار.

أما بعد فقد طالعت كتاب الدرر الفاخرة بمآثر العلويين بفاس الزاهرة؛ تأليف حبيبنا الأمجد وصفي ودنا الأسعد الشريف الجليل الرفيع الشأن، العالم العلامة الحامل راية العرفان في كل ميدان النقيب الوجيه، الأريحي النزيه، المستغني بكمالاته الذاتية والأخلاقية والعرفانية عن كل تنويه مولاي عبد الرحمن الكبير ابن مولاي زيدان العلوي الإسماعيلي حرس الله مجده، وأشرق في أفاق المعالي سعده، فألفيته كتابا مبتكر الوضع جميل الصنع، حشر فيه مؤلفه رعاه الله من محاسن الدولة العلوية الشريفة السجلماسية، مما خلده ملوكها الكبار بالحضرة الإدريسية الفاسية، من جليل الآثار، على مر الأعصار، فكان غرة جمال في جبين الدهر وطراز حسن لا يبلى ولو فنيت الأجسام وبليت الأعمار ولما أطلعني عليه مؤلفه حفظه الله بدا لي أن أكتب عليه سطورا تؤذن بالاستحسان، وتبدي بعض ما لدي من الإلمام بهذا الشان في مجال هذا الميدان، فنقول:

كان العلماء في صدر الإسلام لا يتقدمون إلى التصنيف والتأليف والجمع إلا إذا علموا من أنفسهم الكفاءة والاقتدار على ذلك بما أوتوه من غزارة المادة، وكامل الاطلاع، وحسن السلوك في التصنيف، بالاختيار والانتقاء، وإرادة النفع وحفظ السنة والدين اللسان، وتخليد العلم للأعقاب، وكان الناس لعهدهم يعلمون مقدرتهم على ذلك وصلاحيتهم له فإذا ألفوا كتابا أو كتبوا في موضوع تلقى ذلك منهم معاصروهم بالقبول وأقبل الناس على قراءته ودراسته والانتفاع به، وذلك عين تقريظه وتقريطه وتشنيفه، ومن هذا القبيل موطأ الإمام مالك رضي الله عنه وصحيح الإمام أبي عبد الله البخاري وصحيح الإمام مسلم رضي الله عنهما فجلالة المؤلِّف

والمؤلَّف كافية عن تقريظه.

ولما مضى الصدر الأول بما فيه من خير وبركة وثقة ومتانة دين وجاء الزمن الذي بعده صار الناس يحتاطون لأنفسهم من التدجيل لارتفاع الثقة في الجملة، وصارت المؤلفات والمصنفات فيها مقبول ومنبوذ مع كثرتها وإكباب الناس على الكتابة في الغث والسمين حتى قيل إنه كان يرفع إلى الخليفة المأمون العباسي ببغداد من بلاد البصرة عشرون ألف كتاب في النحو في السنة من عشرين ألف مؤلف ومصنف فيقبلها ويجيز عليها تنشيطا للعلم والعلماء؛ من أجل ذلك استراب المحتاطون لدينهم فصاروا لا يقبلون كل ما يلقى إليهم من هذه الأصناف إلا ما سلمه العلماء بعد النقد والتحري والاختبار، وكان قضاة الإسلام بالأمصار الكبرى يرقبون حركة التأليف فيحكمون على الزائف بالمحو والإعدام وكان الملوك تبعا لهم في هذا المذهب السديد ينفذون أوامرهم ويتمسكون بأقوالهم قبولا وردا؛ فاحتاج المؤلفون إلى الشهادة بصحة تآليفهم فأوجدوا لها طريق التقريظ والكتابة التي هي في حكم الشهادة المثبتة لصحة العمل وقبوله.

وقد رأيت ذلك صادرا في حق كتاب سيبويه الإمام في النحو، وفي المائة الرابعة لغيره حسبما في طبقات الأمم للقاضي أبي العلاء صاعد القرطبي رحمه الله، وفي المائة الخامسة والسادسة حسبما في يتيمة أبي منصور الثعالبي وذخيرة ابن بسام، وقلائد العقيان ومطمح الأنفس للفتح ابن خاقان، ففي هذه التآليف المذكورة تقاريظ وتقريظ وتشنيف لكثير من الموضوعات والتآليف وعليه فالتقريظ بمثابة الحلية للعاطل وذو الجمال الكامل غير محتاج لحلية بل صورته الجميلة تفضح الدر والياقوت بجمالها وبهائها.

وكتاب سيدنا الشريف الأنجد، النقيب الأسعد، مولاي عبد الرحمن ابن زيدان حفظه الله من هذا القبيل فهو بنظر العقل السليم بمثابة حسناء ذات جمال فتان كساها

الله من بهاء نوره وباهر الملاحة وما أغناها عن التحلية بالدر والياقوت والعقيان مثلما قيل:

رفعت نقاب جمالها الفتان فمحت محاسنها سنا العقيان

فهو كتاب عظيم المقدار، غريب المنزع والاعتبار، يصور لك المآثر والآثار الدينية والدنيوية التي خلدها عظماء ملوك الدولة العلوية الرفيعة الذكر الجليلة المقدار، وكفاه فخرا وشرفا أن كان مفيدا في بابه، منفردا في نظر طلابه، لم يسبقه سابق إلى جمع تلك النظائر النفيسة في كتاب فيما نعلم جزى الله مؤلفه أفضل جزاء، وجعل له من الأعمال المدخرة ليوم يعظم فيه الرجاء، وأعانه على الدءوب في سلوك هذه المسالك والسير على هذا المنهاج الجميل، الذي هو بإحياء المجد والفخار كفيل، وبارك في عمر مؤلفه وأطال حياته في سعادة وهناء، كما طال ذكره في الأرض والسماء، والله يحرس مجده، ويطيل في الترقيات سعده، آمين آمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد في الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وكتبه خديم العلم ومحب أهله الصادقين محمد بن علي الدكالي السلوي عامله الله بخفي لطفه آمين في ١٠ جمادى ٢ عام ١٣٥٦.